١٠٠

روايات أحلام

فراشة المحبة

أعبد الشمس

www.liilas.com/vb3

روايات أحلام

فراشة المحبة

أجراس الشمس

... وعاد الزمن إلى الوراء، فهل تعيش مايسي من جديد فصول قصة حب عاشها أحد أجدادها وانتهت بمأساة؟

هذه أمنية مستحيلة مع جايستن وريث أسرة غراهام الذي اعتبرها متطفلة وصائدة ثروات، ولم يكن هذا ليهم مايسي لو لم يكن جايستن رمز عملها الجديد. وهو يعرف جيداً، كما قال لها، كيف يتعامل مع الفتيات الطامعات..

كانت أية محاولة لتغيير رأيه فيها محاولة فاشلة، ولكن من كان يعلم أن للنهر الذي أغرق الحب القديم دوراً في العلاقة الجديدة؟ فهل تتكرر المأساة؟

www.liilas.com/vb3

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١٠٠٠ م.
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.

www.liilas.com/vb3

١ ـ زمن الحب

بعد ظهر ذلك اليوم وعلى مقربة من حدود «كوينزلاند» كادت مايسي ميتلاند تفقد أعصابها لولا أمواج النسيم الباردة التي كانت تدخل عنوة من نوافذ الثان وتداعب بشرتها الرطبة في وقت أبعدت جوليا بايتون عينيها المخمليتين عن الطريق للحظات وابتسمت لرفيقتها قائلة:

ـ عشرون كيلو متراً ونصل إلى «وايامبا».

وما إن سمعت ذات الشعر النحاسي ما قالته جوليا حتى اعتدلت في مقعدها.. شدّت قميصها الملتصق على صدرها من شدة الحرّ... تنهدت:

ـ آه.. شكراً لله.. لقد طال الطريق بنا.. والمشوار كان شاقاً..

ـ أنا بأمس الحاجة إلى «دوش» يخفّف من حدة توتري ويزيل عني عرق الطريق.

ـ وأنا كذلك.. لكن أتظنين حقاً أننا سنجد عملاً في بلدة صغيرة مثل وايامبا؟

ـ آمل هذا، لأنني أحب هذا المكان وأتمنّى لو أجد شيئاً يرمز إلى الأحمر أو ما شابه ذلك.

رفعت جوليا خصلة شعرها الأسود الحريري عن جبينها وقالت:

ـ مايسي.. ألن يكون هذا رائعاً لو نجحت؟ هيّا عزيزتي أخبريني القصة مجدداً!

ضحكت مايسي وبريق عينيها الخضراوين يلمع:

ـ هاي.. أنت تعرفينها أكثر مني.

ـ لكنني قد أكون نسيت بعضاً منها.. وأنت تعرفين ذلك.. مايسي نكاد نصل، ألن تنعشي ذاكرتي الضعيفة؟!

طوت مايسي ساقها لتريح قدمها العارية على المقعد ولفت ذراعيها حول ركبتيها:

ـ حسناً.. يحكى أن عضواً من عائلتي يعرف بالأحمر واسمه ماركوس ميتلاند أتى إلى هذه البلاد لحساب الحكومة البريطانية وقد نفي إلى هذه الناحية بعدما حكمت عليه محاكم قضاء نورفولك بالسجن سبعة أعوام مع الأشغال الشاقة لسرقته رغيف خبز. ولست واثقة من تاريخ وصوله إلى هنا.. أظن حوالي ألف وثمانماية وعشرين.

قاطعتها جوليا:

ـ تابعي يبدو أن القصة مثيرة.

ـ اسمعي.. كما تعلمين حينما ازداد عدد المستوطنين الأحرار في أوستراليا، استغل البعض للخدمة في المنازل والبعض الآخر للعمل في الأراضي دون مقابل.. الأمر الذي دفع بأسيادهم إلى إعالتهم وتأمين المسكن والملبس لهم. المهم.. بعدما استقر جدي الأكبر في مكان يدعى ماراندو خدم في منزل السيد جوستابس غراهام.

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟!..

ـ تقول الرواية إن ماركوس ميتلاند الملقب بالأحمر، نسبة إلى لون شعره خدم طيلة حكمه لدى حكام ماراندو إلا أنه وكما ذكرت لك سابقاً قرّر العيش مع أسرة غراهام بعرق جبينه حيث تزوج من خادمة المنزل، وتدعى ماتيلدا لايدن.. التي رزقت بابن أسمياه دوغلاس والذي هو جد جدي.

هزّت جوليا برأسها مقاطعة:

ـ الآن بدأت أتذكر، لكن للقصة نهاية.. أليس كذلك؟..

صمتت مايسي برهة ونظرت إلى البعيد.. في محاولة منها أن تتذكر تفاصيل أخرى كان قد رواها لها الوالد قائلة:

ـ يبدو أن الأحمر يا عزيزتي.. كان شاباً جميل الطلعة لعوباً بعض الشيء.. وقد نجح في أن يوقع ابنة صاحب المنزل وتدعى فيليستي غراهام بغرامه.. ومع غروب شمس أحد الأيام قررا الهرب معاً، إلا أن النهر لم يرحم حبهما فقد انقلبت العربة، وغرق الأحمر المسكين.

تمتمت جوليا:

ـ هذا صحيح.. تذكرت الآن.. لكن ماذا عن فيليستي، وطفل الأحمر؟

ـ أعتقد أن فيليستي نجت بأعجوبة يومذاك.. أما ماتيلدا زوجة الأحمر فقد طردت من عملها وتركت منزل السيّد غراهام مع ابنها مهدّدة بالانتقام.

ـ وهل انتقمت لزوجها؟

ـ لا أعلم.. فالقصة وقعت أحداثها منذ زمن.. وقد تناقلتها الأفواه جيلاً بعد جيل..

وتوقفت مايسي للحظات حيث أخذت جوليا تفكر بالأحمر ثم قالت:

ـ هاي.. لِمَ هرب الأحمر مع فيليستي، وله ابن من ماتيلدا؟

هزّت مايسي كتفيها وفتحت ذراعيها قائلة:

ـ لا أدري.. ربما لأنه كان يحب فيليستي... فوالدي أهداني تلك الميدالية الذهبية التي أزيّن بها عنقي أحياناً وقد كتب عليها «إلى م. م. من ف. غ» والذي أجهله حتى اليوم سبب وجود تلك الميدالية مع ماتيلدا.

ـ ربما لأنها كانت تنوي استخدامها كدليل يدين أسرة غراهام.

هنا رفعت مايسي قدميها المتعبتين قبالة النافذة وقالت:

ـ من يعلم.. ربما احتفظت ماتيلدا بتلك الميدالية ظناً منها أنها قد

www.liilas.com/vb3

تثبت شيئاً ما.. على كل لقد حدث هذا منذ زمن..

- والآن عدت إلى مسرح الجريمة! ترى هل لا تزال أسرة غراهام تتذكر أحداث تلك القصة؟

ابتسمت مايسي مستنكرة:

- لا أظن ذلك.. أعتقد أن فيليستي قد نسيت أمر ماركوس بعد شهرين، وتزوجت من شاب أرستقراطي عاشت معه أجمل أيام عمرها.. ولا أستطيع أن أتصور أن خادماً ما يمكن أن يؤثر على عائلة غراهام.. كأن تحاول الاختفاء مثلاً.. فهذه العائلة وما تملك لها ذكرها في الصحف المقروءة.

- هذا صحيح.. لكن أيعقل أن لا نجد من يتذكر أحداث تلك القصة؟!.. مايسي، ربما عثرنا في منزل السيّد غراهام على دفتر مذكرات..

بابتسامة خفيفة أخرجت مايسي سيكارة من جيبها وأشعلتها قبل أن ترد:

- بداية، أشك في ذلك.. لأن أسرة غراهام لن يعجبها من يظهر فجأة في وسطها ويسأل: «ألا تذكرون قصة أحد أسلافكم المحترمين الذي هربت ابنته مع خادم محكوم لتتزوج منه؟»..

وضحكت جوليا تشاركها مايسي التي أخذت تتصور سخافة الموقف فيما لو حدث ذلك.. فهذه الفئة من الناس أشدّ حساسية من غيرها في أمور كهذه.. لا سيّما وأنها لا تستطيع فعل شيء إزائها.. فالحادثة وقعت.. والواقع لا يمكن أن يمحوَ شيئاً.

- هاي.. أليس ما أراه «وايامبا»!!

إنها «وايامبا»! ها عقارب الساعة قد بدأت تدق معلنة وصولهنّ إلى زمن الحب الغارب زمن الأحمر وفيليستي.. وها هو الخان يعلو أكثر فأكثر ليطلّ على الوادي وقد غطته بعض الأبنية القديمة المتجدّدة.. وها هي شمس الظهيرة قد ظهرت مشيرة إلى الطريق.

تنفست جوليا والبسمة تعلو شفتيها:

- أتمنّى ذلك.. لأنني أعتقد أنني لو بقيت ساعة واحدة على هذا المقعد سأذوب من شدّة الحرّ.

- اسمعي.. آمل أن نجد فندقاً محترماً عندما نصل، لا أريد قضاء ليلتي في الخان، أرغب بفراش مريح..

ولم يطل انتظارهما طويلاً.. فالبلدة الصغيرة قد أطلّت بفندقها الكبير ومركزها التجاري ويضم مخزناً لبيع السلع ومكتب بريد، ومصرفاً إضافة إلى محطة بنزين تعلوها مضختان للوقود تقفان بهدوء كحارسين تحت أشعة الشمس المحرقة. ومقهى صغير، زيّنت نوافذه بستائر مخملية مقلّمة، وقاعة اجتماعات كبيرة تحكي عن حدث مهم جرى فيها منذ ثلاثة أشهر.

أوقفت جوليا الخان خارج الفندق ونزلت ومايسي تراقبان البلدة التي بدت شبه خاوية إلا من كلب ذئبي أخذ من باب أحد المخازن مأوىً له..

نفضت الفتاتان غبار السفر عن ثوبيهما، وتحركتا إلى داخل الفندق الذي زيّنت جدرانه بلوحات فنية تعود بالذاكرة إلى أيام مضت. وبعيداً عن مكتب الاستقبال إلى اليمين يوجد سلم عريض يقود نزلاء الفندق إلى غرفهم وإلى اليسار يظهر باب مفتوح على مقهى كبير بدا شبه خاوٍ إلا من بعض المقاعد التي كانت تنتظر زبائنه.. بحركات بطيئة توجهت الفتاتان إلى مكتب الاستقبال وهناك قرعت جوليا الجرس الصغير الذي تردد صداه في أرجاء الردهة الفارغة، ليطل على أثره رأس رجل طويل القامة قوي البنية في مقتبل العمر، عيناه مستديرتان، وشعره أشقر مجعد..

- أهلاً بكما في «وايامبا»... أأستطيع مساعدتكما؟

- نريد غرفة واسعة لبضعة أيام.

أجابت مايسي بابتسامة رقيقة..

فتح الرجل دفتراً كبيراً يضم أسماء نزلاء كثر وقال:

- بالتأكيد! وقّعا هنا من فضلكما..

للحظات خيّم على المكان صمت أحدثه انحناءة مايسي وهي توقع اسمها ليأتي الصوت مجدّداً:

- لماذا ترغب فتاتان جميلتان مثلكما البقاء هنا لبضعة أيام؟ ألديكما أصدقاء في الجوار؟ أم.. أنكما قرأتما الإعلان؟

أجابت مايسي بعد أن أعطت القلم لجوليا:

- ما هو ذلك الإعلان؟

- الإعلان عن عمل منزلي في ماراندو. أرى أنكما وصلتما في الوقت المناسب.. فهناك حفلة زفاف ستقام قريباً، وستكتظ المنطقة بالزوار.. لأن سوزان الصغيرة ستخطب إلى أحد كبار تجّار المدينة..

قالت جوليا:

- إعلان عن عمل منزلي؟ هذا ما نبحث عنه..

وأردفت مايسي بدورها قائلة:

- لقد غادرنا ملبورن منذ أربعة أشهر حيث عملنا كخادمتين في وانفراتا، بعدها عملنا كمساعدتين في محل بيع في كانبيرا ومن ثم كساقيتين في سيدني.. والآن كما ترى نحن مضطرتان إلى العمل.

هزّ الرجل الضخم رأسه مستغرباً.. ولمعت عيناه الزرقاوان:

- جميلتان مثلكما تفعلان كل هذا وتنجوان منّا نحن الرجال!.. حقاً إن أمثالكن يذهلنني.

ضحكت الفتاتان لهذا الإطراء غير المتوقع، بينما استدار الرجل ليأخذ مفتاح الغرفة قائلاً:

- ميتلاند وبايتون تشرّفنا، اسمي دايف ماكنتوش والكل يناديني ماك.

قالت مايسي:

- ونحن جوليا ومايسي.

- جيد هذا مفتاح الغرفة رقم (١١) الباب الثاني إلى اليسار إنها جميلة تطل على الشارع الرئيسي للمدينة.. ولا تنسيا الحمّام في آخر الممرّ. والآن أين حقائبكما؟

- في الڤان خارجاً.

- إذا شئتما، خذا الڤان إلى الخلف لإبعاده عن الشارع، وسأحمل حقائبكما إلى فوق.

ردت جوليا:

- شكراً ماك.

واندفعت إلى الخارج حيث الڤان لا يزال واقفاً.

بضع دقائق وكان ماك يقف أمام الرقم (١١) وقد ظهرت غرفة النوم بأثاثها القديم.. سريران صغيران ارتديا ثوبين أنيقين من الساتان الناعم وقد زيّن كل واحد منهما بقطعة قماش مخرّمة لمنع البرغش من الدخول عنوة.. وستائر وردية حجبت نور الشمس الساطعة عن سجادة زهرية اللون إضافة إلى باب كبير يقود نزيل الفندق إلى شرفة صغيرة تطل على البلدة وما فيها.

بعد أن وضع ماك الحقيبتين في الداخل أدار مروحة كهربائية كانت متدلية من السقف.. ومن ثم فتح باب الشرفة ليسمح بدخول الهواء المنعش البارد الذي بدأ يزحف خلسة إلى الغرفة بعدما أخذ الحرّ بتلاشى بعض الشيء.. وآخر ما قاله لهما:

- إذا كان هناك ثمة شيء تريدانه، فلا تترددا في ندائي.. بالنسبة للعشاء بين السادسة والثامنة.

وأخيراً تحقق المراد وأصبحت الفتاتان وحيدتين مع حقائب بدت شبه فارغة بعدما أُفرغ كل ما حوته في خزانة صغيرة كانت تقبع في إحدى الزوايا. وبقطعة نقد معدنية من جوليا عادت الحياة مجدّداً:

- لنرَ من يدخل الحمام أولاً؟!..

اختارت مايسي وهي تراقب وجه جوليا وقد علته خيبة أمل كبيرة

لخسارتها بعدها تناولت منشفة الحمّام بابتسامة عريضة واتجهت إلى ممرّ ضيق حيث الحمام. هنا كان كل شيء فخماً: الدوش البانيو والمغسلة فالمكان واسع جداً والمهم فيه تلك المياه العذبة التي تنعش الجسد المرهق.

لدى خروجها ناولتها جوليا صحيفة اليوم قائلة:

- إنه ماك، جاء بهذه الصحيفة وقال إن غالبية عمال ماراندو يأتون إلى البلدة نهار السبت، وإن من عادة غاي جينكنز، مدير شؤون الموظفين أن يأتي معهم وقد اقترح أن نتحدث معه فيما لو كنا نريد العمل حقاً..

رفعت مايسي رأسها عن الصحيفة، وجلست على حافة سريرها:

- فكرة جيدة لمَ لا.. واليوم هو السبت.. أليس كذلك؟

- بالتأكيد، وهذا يعني أننا لن نطيل البحث لنجد عملاً.

أجابتها مايسي بجدية لم تتعود عليها جوليا من قبل:

- هذا إذا قبل آل غراهام توظيفنا.

نظرت إليها جوليا خائفة:

- هاي.. نحن فتاتان طيبتان وأخلاقنا جيدة. أيطلبون أكثر من ذلك؟!

- صحيح لكن ليس لدينا خبرة في هذا المجال.

- ولم يكن لدينا خبرة سابقة في أي عمل قمنا به.. ومع ذلك كنّا ننجح. لكن الإعلان يشترط العمل لمدة شهرين.. فهل نرغب حقاً في البقاء هنا طيلة هذه المدّة!.

وقفت جوليا تفكر قليلاً بكلام مايسي وقد تهيأت بدورها لأخذ حمّام ساخن، ثم هزت كتفيها دون اكتراث منها وقالت:

- أنا هكذا مرتاحة وهذا كان اتفاقنا منذ بداية الرحلة أن نذهب إلى حيث نريد ونعمل حيث نشاء، إضافة إلى ذلك أتشوق لمعرفة النصف الآخر من المجتمع عن كثب وهذا برأيي سيكون مثيراً للغاية..

ضحكت مايسي قائلة:

- وهذا ما أفكر به أيضاً. إذن.. اتفقنا أليس كذلك!! ماراندو أين أنت.. ها نحن قادمتان!

عندها شاركتها جوليا ضحكة عالية واتجهت إلى حيث الدوش وفي يديها تحتضن منشفة الحمّام.

- للأحسن أو الأسوأ! مهما كانت الظروف!

وغادرت الغرفة.

* * *

٢ - رجل مثير

بعد حوالى الساعتين كانت الفتاتان جاهزتين لتناول وجبة العشاء، حيث ارتدت مايسي فستاناً قطنياً ناعماً زيّنته زهرات عباد الشمس.. بينما ارتدت جوليا فستاناً بلون الثلج الأبيض وقد زيّن بوريقات خضراء جميلة.

معاً نزلتا السلم تتبادلان الحديث. إلى أن وصلتا إلى غرفة الطعام وهناك تعرّفتا إلى شابة مراهقة..

- مرحباً.. أنا ڤيرا ماكنتوش.. لقد حدثني أبي عنكما وحجزت لكما طاولة عند النافذة.. فالمكان أكثر برودة من هنا.. ويطل على الشارع.

وابتسمت قائلة:

- أخشى أنني لا أستطيع التحدث إليكما طويلاً.. فنحن عادة نتشغل كثيراً ليالي السبت..

وانحنت فوق الطاولة تتناول لائحة الطعام ثم أعطتها إلى مايسي قائلة:

- والآن، ماذا ترغبان للعشاء؟

بعدما حدّدت الفتاتان ما تريدان تناوله أسرعت ڤيرا إلى المطبخ في حين أخذت مايسي وجوليا تنظران إلى باقي الزبائن. الرجلان اللذان كانا يتحدثان إلى ڤيرا لحظة دخولهما كانا منشغلين في حديث خاص.. وعلى بعد منهما كان هناك رجل برفقة امرأة مع ولدين

صغيرين.. وشاب لا يزيد عمره عن الثامنة عشرة وفتاة في السادسة عشرة يمسكان أيديهما سراً تحت الطاولة، مما دفع الفتاتان إلى الابتسام والتساؤل: أهو حب يقود إلى زواج؟ أم ماذا؟..

وما إن عادت ڤيرا تحمل أطباق الطعام الشهية حتى سمعتا وقع أقدام لعدد من الرجال وفي دقائق كان المكان قد غصّ بهم.

الضيوف الجدد على ما يبدو كانوا مختلفي الأعمار والأجسام.. لكنهم كانوا يتشابهون في لباسهم الموحّد، وبشرتهم الداكنة اللون، والتي كانت توحي بأنهم يعملون في الهواء الطلق فوق ظهور الجياد، وبدونها..

- أنتما تثيران الاهتمام من حولكما، أتعرفان هذا!.. همست ڤيرا ضاحكة..

ما كان من مايسي وجوليا إلا أن ابتسمتا للفكرة التي لم تخطر ببالهما من قبل.

ومع فنجانين من القهوة الساخنة نظرت ڤيرا عبر النافذة إلى الشارع وقالت:

- أتمنى لو تأتي شقيقتي لتساعدني الليلة.. أظن أنها قد أنهت عملها الآن في البلدية وهي في الطريق إلى هنا..

وتابعت قائلة:

- هناك حفلة رقص هذه الليلة.. لماذا لا تأتيان؟ أؤكد لكما أنكما ستمضيان وقتاً ممتعاً..

تبادلت مايسي وجوليا النظرات.. إنها فرصة جيدة للتعرّف على الناس في المقاطعة، ولكن لم تكن أي واحدة منهما على استعداد لدخول مكان مليء بالغرباء.

وكأنها أحست بترددهما فقالت لهما:

- بإمكانكما المجيء معي ومع صديقي كول إذا أحببتما.. إنه هناك.

فراشة المحبة

وأشارت إلى شاب بهي الطلعة متين البنية.. وتابعت:

ـ سنتولى تقديمكما إلى الموجودين.

فردت جوليا:

ـ هذا لطف منك قيرا.. سنحب أن نأتي معكما.

فابتسمت بحبور، وقالت لهما على الفور.

ـ ولكنني لا أستطيع الهرب من هنا قبل التاسعة.. فهل هذا الوقت يناسبكما؟

ـ إنه وقت رائع.. وسننتظرك في الصالون.

بعد برهة، لاحظت الفتاتان أن ماك يتحدث إلى رجل يناهز الثلاثين من عمره، له وجه جذاب صارم، يرتدي قميصاً أزرقاً وبنطلوناً أبيضاً. نظر الرجل إلى الفتاتين ثم إلى ماك، وهز رأسه مفكراً قبل أن يبتسم لملاحظة قالها أحدهم.. وتقدم نحوهما بخطوات بطيئة.

قال مبتسماً بعد أن توقف إلى جانب طاولتهما:

ـ أنا غاي جينكنز، مدير شؤون الموظفين في ماراندو.. علمت من ماك أنكما مهتمتان بالعمل المعلن عنه.

هزّت مايسي رأسها وأجابت:

ـ أجل.. نحن مهتمتان كثيراً سيد جينكنز.

ونظر حوله وعندما لم يجد كرسياً شاغراً قال مقترحاً:

ـ إذا كنتما أنهيتما القهوة، فمن الأفضل أن نتوجه إلى غرفة الاستقبال.. بإمكاننا أن نتكلم هناك.. و.. من الأفضل مناداتي غاي.. فنحن نادراً ما نستخدم هناك اسم العائلة...

ولحقت به مايسي وجوليا وسط صيحات تقول: «لا تكن جشعاً» و «لا يمكنك إبقاء الاثنتين لك غاي» وبابتسامة تسامح لوّح بيده واعتذر بخشونة:

ـ آسف للتعليقات، لكن مع نقص الفتيات الجميلات هنا، لا يمكن لومهم.

قالت مايسي ضاحكة:

ـ لا تشغل بالك.. على أي حال يمكنك القول إن هذا إطراء لنا..

ـ أنا متأكد من هذا.

ثم تعرف بنفسه على الفتاتين وبدأ البحث في العمل:

ـ قبل أي شيء، من منكما تستطيع العمل كمرافقة لمارتا.. جدة صاحب العمل.. وتقوم في الوقت نفسه ببعض أعمال السكرتيريا، فجاكي رامبرت، زوجة أحد العمال، كانت تقوم بكل هذا.. لكنها سترزق قريباً بطفل وهي تجد الأمر صعباً عليها، خاصة مع حرارة الصيف.

قاطعته جوليا:

ـ العمل السكرتاري هو اختصاص مايسي.. فأنا لا أعرف الطباعة. وماذا يتطلب المركز الآخر؟

ـ إنه يميل إلى طبيعة المساعدة في تدبير المنزل، مع لودي.. ولكن في كلا المركزين من المحتمل أن يطلب منكما المساعدة في أي عمل كان..

فقالت مايسي موافقة:

ـ هذا يناسبني.. وماذا عنك جوليا؟

ـ لا مانع لدي، وأظنني أفضل الوظيفة الثانية، فأنا أحب العمل في المطبخ.. وأنت تعرفين هذا.

عندها بدا السرور على وجه غاي وقال:

ـ عظيم.. اتفقنا إذن، لكن.. يجب أن تقابلا السيّد في الصباح الباكر.. مع أنني لا أرى أي داعٍ لذلك وإذا جاء الليلة إلى هنا، سأحدد لكما موعداً.

وتركهما لوحدهما مع مجموعة من الشبان، لا تعرفان اسم هذا من ذاك، لكن الممتلىء القصير جاك، والطويل النحيل تود، بينما الشاب الجميل الطلعة الذي كان يرتدي قميصاً أصفراً سام.. لكن ما اسم

عائلته؟!..

تقدم ماك يحمل صينية مليئة بكؤوس مترعة من الشراب المثلج، ووجدت الفتاتان نفسيهما تحملان كأسين من الليموناده الباردة، مع ملاحظات أن هذا أفضل شراب في الطقس الحار..

وانهالت الأسئلة من أين أتيتما، وماذا تفعلان لتعيشا، وإلى متى ستقيمان وسط هتافات عالية.. كان واضحاً أن هؤلاء الشبان يتمتعون بأمسية السبت في البلدة، وبالفرصة المتاحة لهم للتنفيس عن تعبهم.

وطلب الشاب الجالس بجانب مايسي من ماك جولة ثانية من الشراب، وانحنى يهمس كالمتآمرين:

- هيا الآن.. أخبرانا الحقيقة.. لماذا جئتما إلى هنا؟ أمن أجل إيجاد زوجين يعيلانكما بطريقة اعتدتما عليها؟

ردت مايسي، ضاحكة:

- أوه.. لا! فأنا أبحث عن زوج يستطيع إعالتي بطريقة لم أعتد عليها من قبل!

وسط الضحك والهتافات نظرت مايسي إلى وراء جون، الذي طرح السؤال لترى رجلاً يقف بالباب.. رجل لم تره من قبل.. فلو رأته لتذكرته! كان أكثر الرجال وسامة.. عريض الكتفين، بارز العضلات، يرتدي قميصاً غزالي اللون، وبنطلوناً ممائلاً، شعره أسود مشعث قليلاً، مائل إلى الأمام، على جبهة عريضة، فوق حاجبين أسودين مقوسين، تحتهما عينان رماديتان، أخذتا تتطلعان إليها بازدراء وبرودة فما كان من مايسي إلا أن أشاحت بوجهها عنه بعد أن سجّلت في رأسها أنفاً مستقيماً وفماً ممتلئاً، وفكاً قوياً.

من هو؟

لم يبدُ مختلفاً عن الآخرين.. لكن هناك جواً سلطوياً حوله، وغاي أيضاً لديه مثل هذا الجو، إذن لما ينظر إليها بهذه الطريقة؟

وعندما لم تجد الردّ على ذلك، أعادت النظر نحو الباب، لكن

الرجل كان قد اختفى.

وما إن تناولت سيكارة حتى اشتعلت ثلاث ولاعات أمام أنفها قبل أن تجد ولاعتها. هذه الحركة الصغيرة أعادت إليها توازنها، بحيث ابتسمت شاكرة لجون بعد أن قبلت ولاعته، وسرعان ما وضع أمامها كوب عصير آخر وانغمست في حديث طويل..

في تمام التاسعة جاءت ڤيرا على الموعد.. وقالت لهما:

- نحن في طريقنا إلى حضور حفلة الليلة ألا زلتما تريدان المجيء؟

رد جون عنهما بابتسامة عريضة:

- بكل تأكيد سنأتي.. مستعدتان؟

وهزت الفتاتان رأسيهما بالموافقة، في حين تأبط جون ذراع مايسي، بينما فعل غاي الشيء نفسه مع جوليا، وسار الأربعة إلى الخارج، يلحق بهم الآخرين.

كان الرقص قد بدأ، وقبل أن تتعرّف مايسي على المكان أدخلها جون إلى حلبة الرقص.. لقد كان راقصاً ماهراً، بحيث تلازمت خطوات مايسي مع خطواته دون جهد منه..

ونظرت مايسي إلى الوجه الأسمر فوقها وسألت:

- أوتعمل في ماراندو جون؟

- بالطبع.. فأنا مدير في عامي الثالث، وظفتني شركة غراهام للماشية.. حيث تدربت سنة في منطقة «ريفيرينا» وسنة على الساحل الجنوبي، وحوالى الستة أشهر هنا.

- لم أكن أعرف أنهم ينقلون المدراء هكذا.. ظننتهم في مكان واحد.

هز رأسه وقال:

- معظم شركات الماشية تفعل ذلك.. حيث يرسل مدراؤها إلى الكلية الجامعية، وهذا يعني امتحانات وما إلى ذلك..

- وماذا يحدث حين تنهي دروسك، وتفوز في امتحاناتك؟
- عادة، نمضي فترة من الوقت في مكاتب الشركة في المدينة.
- ولماذا؟

رفع حاجبيه وقال ضاحكاً:

- ومن يسأل أصحاب السلطة؟.. لكن، صراحة قد تستدعي الحاجة أن يحلّ أحدهم محلّ زميل له في الشركة.. ولأجل هذا عليه أن يعرف كل شيء عن المنطقة التي سينقل إليها كي يفيد الشركة على أفضل وجه.

قالت مايسي والدهشة تعقد لسانها:

- لم أكن أعرف أن هكذا وظيفة تتطلب هكذا جهد.
- معظم سكان المدن لا يعرفون هذا..

لحظات قليلة وقرعت الطبول معلنة نهاية الرقصة، فقادها جون إلى المقاعد المصفوفة أمام الجدران، وسرعان ما انضم إليهما جوليا وغاي، إضافة إلى مجموعة من رفاقهما في الفندق.. وسأل غاي جون:

- هل رأيت الرئيس هنا الليلة؟ أريد أخذ موعد لمايسي وجوليا في الغد.

أنهى جون قطعة الحلوى بالفاكهة، ونظر فوق الرؤوس:

- رأيته في بداية السهرة ولكن ليس هنا وإنما في الفندق.
- أوه.. ظننت أنني لمحته منذ قليل..

ابتسم جون وقال:

- مع الآنسة إيمي مورتون أليس كذلك؟ لو كان هنا لكان تصرفها مختلفاً...

ابتسم غاي مؤنباً وهز رأسه قائلاً:

- ليس من شأننا جون أن نراقب تصرفات صديقة الرئيس.
- ولكن لي الحق بإبداء رأيي.

نظرت مايسي إلى الرجلين باهتمام، وسألت جوليا:

- أليس السيد غراهام متزوجاً؟

ضحك جون:

- من؟ جايستن؟ ولما يجب أن يكون متزوجاً؟

ردت جوليا مضطربة:

- حسناً.. أنا..

قاطعتها مايسي ضاحكة:

- لقد تصورناه رجلاً في منتصف العمر يميل إلى السمنة مع نسل كبير من الأولاد.

ولم يستطع جون وغاي أن يسيطرا على نفسيهما حيث أخذا يضحكان عالياً، حتى أنه مضى وقت طويل قبل أن يتمكن غاي من قول:

- أوه.. هذه آخر نكتة.. يجب أن نخبره بها حين نراه.

صاحت الفتاتان:

- لن تجرؤا على هذا! ومن الأفضل أن تخبرانا شيئاً عنه.. كي لا نرتكب المزيد من الأخطاء.

حك غاي رأسه وقال:

- إنه في السادسة والثلاثين من عمره، طويل القامة.. رجل بكل ما للكلمة من معنى.. ويمكن القول في نفس الوقت إنه رجل نساء.. لديه صديقة اسمها إيمي مورتون، تعيش على بعد عشرين ميلاً.. آسف اثنان وثلاثون كيلو متراً.. على الجهة المقابلة من المدينة.

قاطعه جون ضاحكاً:

- شكراً لله على هذا!

- .. لديه أخ صغير يدعى جيرارد متزوج ويعيش في «بريزبين» مع عائلته، وأخت صغرى اسمها سوزان، وستزف قريباً... والداه ميتان.. قتلا في تحطم طائرة منذ عشر سنوات.. وجدته تدعى مارتا

غراهام ولا تزال تعيش في المزرعة.

ـ وكيف هي جدته؟ ربما يجب أن أعرف شيئاً عنها لأنني سأكون مرافقتها.

هنا أخذ جون دور الاعلامي:

ـ إنها في الثمانين من عمرها مع أنها تبدو في السبعين.. تحب الناس كثيراً ولا تؤمن بالكلمات المعسولة!

وهز رأسه مؤكداً، ثم تابع:

ـ وهذا أمر ورثه حفيدها عنها بالكامل! لكن، إذا احتجت يوماً ما إلى صديق عليك بمارتا إنها سيدة حكيمة!

استوعبت مايسي كلامه بصمت وأخذت تفكر فيما إذا كانت ستصبح رفيقة امرأة من الرواد الأوائل، وعلى أي حال فهذه المهمة لشهرين ليس أكثر..

عند أسفل سلم الفندق استدارت جوليا إلى غاي تسأل:

ـ في أي وقت يجب أن نذهب في الصباح؟ وهل علينا أن نتصل أولاً؟

ابتسم غاي بثقة:

ـ لا داعي للاتصال.. ليكن قدومكما حوالي التاسعة.. وإذا لم يكن جايستون موجوداً، فبإمكانكما رؤية المنزل والتحدث إلى مارتا. من يعلم قد توافق عليكما وتجتازا نصف الطريق.

وهكذا صعدت مايسي وجوليا ببطء إلى غرفتهما..

ضحكت مايسي فجأة.

ـ أتعرفين ماذا؟ لقد نسينا أن نسأل كيف سنصل إلى هناك.

رفعت جوليا يدها إلى فمها فزعة:

ـ وكيف سنصل..؟

ثم ضحكت مسترخية على الفراش:

ـ أشك في أن لا نجد مزرعة بحجم ماراندو.. كم فداناً مساحتها؟

ـ بضع آلاف على ما أظن.. لست أعرف بالضبط.

وتثاءبت للحظات حيث ساد صمت مطبق، ثم نهضت جوليا بكسل:

ـ إذا لم أكن حذرة، سأنام وأنا مرتدية ثياب السهرة.. سأذهب إلى الحمام لأغتسل، أتأتين معي؟

هزت مايسي رأسها توافقها على ذلك وسارت معها إلى الحمام.. وبينما كانت تغسل وجهها أثارت جوليا موضوعاً.. حيث سألت بجدية:

ـ ما رأيك بغاي؟

نظرت مايسي إليها وقالت:

ـ لطيف.

ـ لقد أعجبني.. أعجبني جداً.

ابتسمت مايسي وفقاقيع الصابون تملأ وجهها:

ـ وهذا ما ظننته.

فسألتها جوليا ساخطة:

ـ وهل كنت واضحة إلى هذه الدرجة؟

أراحت مايسي بال صديقتها:

ـ لي فقط.. فأنا أعرفك منذ زمن بعيد، وأعرف كل عوارضك كما وأنه من طرازك.

بدت الدهشة على جوليا:

ـ أوه..! وهل لي طراز خاص؟ لم ألحظ هذا من قبل.

جمعت مايسي أغراضها وسارت في المقدمة نحو الغرفة.. ثم قالت بثقة:

ـ بكل تأكيد لك طرازك، الطراز القوي الهادىء الذي يزن الكلمات قبل النطق بها.. ويمكن الاعتماد عليه.. في كل الأمور!

ـ لا عيب في أن يكون المرء معتمداً عليه، وهذه ميزة نفتش عنها

www.liilas.com/vb3

نحن النساء في رجل حياتنا أيضاً..

مازحتها مايسي:

ـ أصبحنا نتحدث عن الزواج.. أليس كذلك؟ يا للمسكينة.

احمرّ وجه جوليا ارتباكاً:

ـ تعرفين أنني لم أقصد هذا.. عنيت هذا فقط بشكل عام.. ولم أكن أشير بشكل خاص إلى غاي.

أشفقت عليها مايسي بابتسامة:

ـ أعرف.. أعرف.. وأنا أيضاً أحب الرجال المعتمد عليهم.

وتقدمت مايسي إلى باب الشرفة، وسألت:

ـ هل نترك هذا مفتوحاً؟

ـ سيكون دعوة مفتوحة للبرغش من على بعد عشرة أميال..

نظرت مايسي إلى السقف، وقالت مبتسمة:

ـ أظن أن نصف حشرات المستعمرة تأتي دون دعوة.

وتسللت إلى فراشها بعد أن أطفأت النور.. تصغي إلى الدندنة الفورية التي تطلقها الحشرات احتجاجاً، وهي تنقض على الناموسية الواقية للوصول إلى جسد الفتاتين النائمتين.. وابتسمت مايسي في الظلام لفشل الهجمات مرات ومرات، لتتمتم متعبة:

ـ تصبحين على خير.

وتلقت من جوليا رداً أكثر نعساً، قبل الاستسلام إلى نوم عميق..

***

٣ ـ وجهاً لوجه

دقة عنيفة على الباب، أعلنت وصول ڤيرا في الصباح التالي، مع فنجانين من الشاي وطبق من البسكويت وضعته على الطاولة قرب سرير مايسي.. وقالت:

ـ إذا أحببتما الآن أن تقولا لي ماذا تريدان للفطور، سأحضره لكما حين تنزلان.

رفعت مايسي نفسها، تخرج من تحت شبكة البرغش وتأخذ أحد الفنجانين وترتشف رشفات ساخنة بحذر.. وتقول:

ـ شكراً ڤيرا.. لكنني سأتناول فقط القهوة والتوست. ماذا عنك جوليا؟

خرجت الفتاة الأخرى لتجلس على حافة السرير، تشرب الشاي. وردت بفم مليء بالبسكويت:

ـ الشيء نفسه لي..

ـ أوه.. أنتما سهلتين في المعاملة.. أواثقتين أن هذا كل شيء؟ ألا تتناولان «السيريل» مع الحليب أو شيء مشابه؟

واضح أن لڤيرا شهية ممتازة.. وابتسمت لها الفتاتان تهزان رأسيهما، وقالت جوليا بمرح:

ـ لا.. ما منا واحدة تهتم بالطعام الباكر في الصباح.

جلست ڤيرا على حافة السرير، تحاول التمتع بحديث حميم.

ـ ما رأيكما في حفلة الرقص أمس؟ هل أمضيتما وقتاً طيباً؟

فرانشة المحبة

ردت مايسي متسائلة:

- وقت طيب جداً، شكراً لك، وأنت؟..

كانت هذه هي الفرصة التي تنتظرها ڤيرا، فقد تحولت عيناها فوراً إلى الحلم.. وقالت متحمسة:

- أوه.. أجل.. ركولي قال إنه يظنها أفضل حفلة حضرناها معاً. ما رأيكما بكولي؟ أليس جميلاً؟ قال إنني أجمل فتاة كانت هناك.. أعرف بالطبع أنني لست هكذا.. لكن أليس رائعاً أن يقول هذا؟

بدا أنّ ليس هناك سوى رد واحد على هذا السؤال، وهو الموافقة، وهذا ما فعلته الفتاتان، ورافقتاه بتمنيات مناسبة.

- ڤيرا!

جاء صوت راعد من أسفل السلم جعل الفتاة الشابة تنفز كالمذنبة.

- أووه.. هذا أبي، من الأفضل أن أنزل الآن.

وعند الباب استدارت:

- سأراكما فيما بعد.. لتتحدث أكثر.

ضحكت جوليا ما إن أقفلت الفتاة الباب:

- أوه.. لا.. لن أتحمل هذا.. إذا كانت تعني سماعنا لكل صغيرة وكبيرة قالها كولي، أو فعلها، أو فكر بها.. هل كنا يوماً سيئتين هكذا؟

ردّت مايسي ضاحكة:

- أرجو أن لا.. لكن ربما كنا هكذا دون أن ندري.. وأظن ڤيرا ستتخطى هذه المرحلة مع الوقت مثلها مثل بقية الفتيات.

- أجل.. أتوقع هذا..

لكن جوليا كان في ذهنها أشياء أخرى وهي تفتش في ثيابها عما تلبسه.

- ماذا سترتدين اليوم مايسي؟

- بنطلون.. على الأرجح.. لماذا؟

- أتساءل ما إذا كان يجب أن نرتدي الفساتين.. تعرفين! لنخلق الانطباع الجيد.. وما إلى ذلك.

هزت مايسي كتفيها دون اكتراث:

- كان أبي دائماً يقول: لتكن البداية كما تنوين أن تستمري.. ثم أنا أملك من البنطلونات أكثر من الفساتين.. وإذا كان هذا لا يعجبهم، من الأفضل أن نعرف باكراً قبل أن نبدأ العمل. لماذا.. ألا تظنين أنهم سيلبسوننا فساتين سوداء، ومرايل بيضاء، ونبعات تربط تحت الذقن؟

وضحكت مرحة فابتسمت جوليا:

- ألن يكون هذا أمراً جديراً بأن نراه؟

في النهاية قررتا البنطلونات.. مايسي ببنطلون جينز أبيض وبلوز كحلية وبيضاء، تلتف حول جسدها بشكل يبرز جماله.. بينما ارتدت جوليا بنطلوناً برتقالي مع بلوز مماثلة باللونين البرتقالي والأخضر، أبرزت لون بشرتها الزيتونية بشكل مدهش.

فطور سريع في غرفة الطعام، تبعه تعليمات من ماك عن كيفية الوصول، وسرعان ما انطلقتا في الڤان بسعادة إلى حدود ماراندو.. الشمس المحرقة، كانت لا تزال تسلق كبد السماء الزرقاء الصافية، لكن الهواء المتدفق إلى السيارة كان يجعل شعرهما يتطاير.

كان العشب في المراعي أخضراً.. لكن أوراق الشجر كانت مسترخية مغبرة.. تنتظر بصبر حلول الخريف وبداية المطر. الأبقار التي ترعى بسلام، كانت تبدو جيدة الغذاء، ومعتنى بها.. بين حين وآخر، كانت الطيور الملونة تمر بهما، وهي تشق طريقها فوق الأراضي المنبسطة.. كل شيء كان هادئاً ساكناً، قانعاً.. تبادلت الفتاتان نظرة، وابتسمتا.. فهذا وقت رائع من النهار للانطلاق.

كما وصف ماك بالضبط، كان من المستحيل أن تخطئا المنعطف نحو المزرعة، وبعد المرور بأول قطيع للماشية، نظرتا حولهما

باهتمام.. المنظر هنا مزيج من المراعي المنبسطة الصافية، والتلال المرجية الكثيفة.. لكن مع تلوي الطريق الضيق فوق أول سطح منحدر، استطاعتا رؤية فجوة في التلال الصخرية أمامهما، وما إن مرتا فيها، حتى وصلتا إلى أرض عشبية ممتدة على بعد النظر، لا يقطعها سوى أجمات ومجموعات أشجار هنا وهناك. إلى البعيد، شمالاً، ظنتا أنهما شاهدتا ما بدا لهما منزلاً يحيط به أبنية ممتدة، تلمع تحت أشعة الشمس الصباحية، مع لمعان مياه قريبة لا يمكن أن يخطىء المرء بها.

أرخت مايسي قدمها عن الدواسة، وبدأت الهبوط البطيء الذي يمر بمراعي واسعة مقطعة بشكل جذاب متناسق، والقطعان ترعى في كل منها على حد سواء، ضمن المزيد من الحواجز والبوابات الحديدية التي تفصلها إلى وحدات متساوية، آخر واحدة منها أصبحت خلفهما، وهما تستمران في السير في طريق خاصة مرتبة نحو المنزل.. لكن، يا له من منزل! فقد خطف أنفاس مايسي، مع أنها متأكدة من أنها رأت له صورة في مكان ما من قبل.. في مجلة على الأرجح.. وبرؤيته الآن واقعياً، أدركت أن الصورة لا يمكن أن تفي منظره حقه.

أول ما صدمها الجمال المذهل للمبنى الضخم الدافىء من الحجر الرملي، والشرفات العريضة المرصوفة بالأردواز، وأسوارها الحديدية المشغولة، التي تتوالف لتعطي المكان جواً من الأناقة والسعة وسط موقعه في المرجات الخضراء المحاطة بأشجار الصمغ والصنوبر بينما ترد النوافذ الخشبية أشعة الشمس عن داخله وهي تلمع.

ما إن توقفت القان إلى جانب شرفة مسقوفة أمامية حتى برز غاي من زاوية البناء. واضح أنه كان يرقب وصولهما، وابتسم لجوليا حين ترجلت، ليتبادلا ابتسامة مشرقة شملت مايسي بسرعة. وقال غاي معتذراً:

- لم يبدُ جايستن مستعداً لأي لقاء اليوم. وهذا ما لا أفهم سببه.. كنت أظنه سيبدي السرور لفرصة إشغال المركزين بسرعة.. على أي

حال مارتا تنتظركما بلهفة، وتقول إنها مصرة على رؤية الفتاتين المسافرتين لأجل المتعة فقط، وهذه كلماتها، وليست كلماتي، خاصة في المناطق الريفية، دون مرافقة أحد.. والآن.. أترغبان في مقابلة مارتا.. أم تريان المكان؟

أجابت مايسي:

- لا.. دعنا ننتهي من اللقاء أولاً.. فمن يعلم؟ قد لا يكون هناك فائدة من بقائنا بعد إتمام اللقاء.

قالت جوليا بصوت مصدوم:

- لست انهزامية في العادة مايسي.. هل غيّرت رأيك بالنسبة للعمل؟

- لا.. لم أغير رأيي، لكن يبدو لي أن رئيس غاي قد يكون غير رأيه.. وبكل تأكيد إذا كانت له الكلمة الأخيرة، وهو الآن ليس هنا ليقرر، فحضورنا إلى هنا مضيعة للوقت.

قاطعها غاي، مسروراً لتقديمه بعض التشجيع:

- أنت مخطئة في هذا. إذا تحدثت إليكما مارتا، يمكنها أن تقرر على الفور إذا اختارت.. وإذا كان انطباعها عنكما جيداً ستحارب جايستن لإبقائكما.

سألت مايسي ضاحكة:

- لكن، هل تكسب في مثل هذه المعارك؟

سارع غاي يؤكد لها، ضاحكاً بدوره:

- بكل تأكيد.. فجايستن متساهل جداً حين يصل الأمر إلى ما تريده مارتا.

- أوكي، تكسب.. دعنا نرى ما سيكون رأي مارتا غراهام بالفتاتين المنجولتين لأجل المتعة في الريف دون مرافقة أحد.

تحركوا عبر أبواب المدخل السندبانية السميكة، إلى داخل بهو جميل الكساء الخشبي. في وسط الأرضية الخشبية المزخرفة تقف

طاولة خشبية أثرية، فوقها جرة نحاسية ضخمة مليئة بالأقحوان المتعدد الألوان.. خلفها كان هناك مطلع سلم عريض يقود إلى الطابق الأعلى، على جوانبه تتفرع عدة أبواب تقود إلى غرف أخرى، قادهما غاي إلى أحدها.

صوت ضعيف يقول «أدخل» كان الرد على قرع باب المكتبة.. لدى دخولهم، كان أول انطباع لمايسي شعور بالتأثر وهي تنظر بسرعة إلى الرفوف على الجانبين المرتفعة إلى السقف. والأبواب العريضة المفضية إلى الشرفة المظللة الباردة، والمدفأة الضخمة من حجر الأردواز، والتي تحتل الجدار الرابع، ثم ارتدت نظرتها لتستقر على سيدة صغيرة الجسم بيضاء الشعر، مستقرة في عمق كرسي جلدي عميق على أحد طرفي المدفئة.

كما كان غاي قد قال، لم تبدُ مارتا غراهام في الثمانين، فبشرتها كانت لا تزال ناعمة، غير مجعّدة إلى مدى كبير، وعيناها الزرقاوان لم تفقدا شيئاً من بريقهما.. ومن نظرتهما الذكية لماكرة، كان واضحاً أن دماغها لا زال في حدّته.. الضعف الوحيد كان يظهر في يديها، اللتان كانتا عظميتان مجعدتان، كل منهما على أحد ذراعي الكرسي كدليل على حالة التهاب المفاصل المؤثرة على جسدها، لكن دون القدرة على التأثير على روحها المعنوية.

لوحت بيدها في حركة خفيفة:

- بإمكانك الذهاب غاي. سأقول للودي أن تستدعيك لو احتجت إليك.

- حسن جداً مارتا.

غمز للفتاتين مطمئناً، وغادر الغرفة.

بدت مارتا مسرورة من نفسها قليلاً.

- حسن الآن.. اجلسا هناك حيث أراكما.. أنتما مايسي وجوليا أليس كذلك.. أيكما مايسي؟

بعد التعارف أدارت مارتا اهتمامها إلى جوليا تسألها ماذا تعمل لتعيل نفسها، حين عرفت أنها معلمة أطفال، زمت شفتيها مفكرة وتمتمت:

- هذا يمكن أن يساعد.

وتوالت الأسئلة، بعضها غير مترابط أو هام، والآخر خبيث ماكر، وموجه تماماً. وبما أن مايسي لم تشارك في هذا القسم من الحديث، فقد سمحت لنظرها بالتجول.

كان هناك طاولة كتابة جميلة قديمة الطراز مع كرسي مماثل مستقيم الظهر، فاتها النظر إليهما عند دخولها، لأنهما كانا في زاوية الغرفة.. وكرهت أن تفكر كم ثمن السجادة الزرقاء المذهبة تحت قدميها، لأنها كانت ناعمة وعميقة بشكل فخم. عادت عيناها إلى رفوف الكتب، المليئة بالنسخات الجلدية الغلاف.. وتمكنت من أن تخمن أن بعضاً منها قديم جداً.

عادت إلى الحاضر مجفلة، وقد أحست أن جوليا وقفت عن مقعدها لتخرج من أبواب الشرفة، وأن مارتا تلفظت باسمها، وكررت:

- قلت.. هل أنت مهتمة بالكتب؟

أعادت مايسي عينيها إلى المرأة أمامها وقالت معتذرة:

- أنا.. أنا آسفة. أجل أحبها كثيراً.. وأتمتع بالقراءة.

هل هي رقة في عيني المرأة ما تراه؟.. أملت مايسي هذا.. كي لا تعطي بداية سيئة!

- وما هو نوع عملك؟

- أنا سكرتيرة.

- أهذا كل شيء؟

ارتفع حاجبا مايسي قليلاً: ألا يكفي هذا؟

قالت بارتباك، غير متأكدة إذا كان هذا ما تريده مارتا من معلومات.

ـ لقد قمت بعروض أزياء للتلفزيون، كعمل مؤقت ثانوي.

استقبلت العجوز هذه المعلومات تهز رأسها.

ـ ظننت نفسي رأيت وجهك من قبل.. فهو ليس بالوجه الذي ينساه الناس بسهولة.

هل هذا أمر جيد أم سيء؟ مع مارتا لا يمكن للمرء أن يتأكد.

ـ وتريدين أن تكوني مرافقتي؟

ـ هذا صحيح سيدة غراهام.

سألتها فجأة وبحدة:

ـ لماذا؟

الأرض الصلبة انسحبت من تحت قدمي مايسي، وسعت بذعر لرد يرضي المرأة. حين لم يأت إلى ذهنها شيء مناسب، استسلمت مبتسمة وقالت لها الحقيقة:

ـ لأننا نرغب في البقاء في هذه المنطقة لفترة، وهذا العمل وجدناه في إعلان.

وكانت متأكدة أن هناك عاصفة قادمة.. لكنها لم تأتِ.. بدلاً من ذلك بدأت علامات المرح تظهر على مارتا.

ـ على الأقل أنت صادقة.. ولديك ابتسامة جميلة... فأنا لا أطيق الوجوه المتجهمة.. أتوقع منك أن تساعدي فيما يحتاج إليه المنزل.. ولا تظني أن هذا سيكون عملاً سهلاً.

هزت مايسي رأسها بإنكار:

ـ لم أتوقع هذا سيدة غراهام، وفكرة أن أقدم المساعدة لا تزعجني.. فهذا أحد الأسباب التي جعلتني وجوليا نبدأ الرحلة، كي نجرب أنواعاً مختلفة من العمل.

لسبب ما بدت مارتا وكأنها تثبط عزيمتها عن هذا العمل، ولم تستطع مايسي أن تفهم السبب.. فهنا لغز لا ريب فيه، وتساءلت كم من الزمن سيمر قبل أن ينكشف هذا السر.. هذا إذا انكشف.

بسرعة قررت العجوز:

ـ حسناً جداً إذن.. سأجربك.. متى تريدين أن تبدأي؟ في الغد كصديقتك؟

دهشت مايسي.. لم تعرف أن جوليا ربطت نفسها بالعمل، لكن، ربما هذا غير عجيب أبداً.. فهي لم تكن منتبهة للحديث بينهما.. وردت على العجوز بسرعة:

ـ أجل.. هذا رائع سيدة غراهام.. في أي وقت يناسبك؟

ـ في التاسعة.. مثل اليوم.

مررت عينيها على مايسي مقيمة، وأشارت إلى البنطلون:

ـ أهذا ما ترتدينه طوال الوقت؟

إذن، المشاكل قادمة! هل جوليا محقة حين قالت إن من الأفضل لهما ارتداء الفساتين؟.. حسناً.. سنرى هذا قريباً.. أجابت بصدق:

ـ إنني أملك منها كثيراً.

ـ لا شك أنك تظهرين أكثر ما عندك في هذا، أليس كذلك؟

أفلتت ضحكة خشنة من مايسي قبل أن تمنع نفسها:

ـ قد تكونين محقة، لكن هذا ليس السبب الذي يجعلني أرتديها.. أرتديها لأنها مريحة وسهلة الغسيل.

بدرت ضحكة صغيرة من شفتي مارتا بالرغم من معارضتها:

ـ هذا ما تستمر حفيدتي في قوله لي. لكنني لا أصدقها.

أحست مايسي أن المقابلة على وشك أن تنتهي، فوقفت بسرعة متحركة نحو الباب، لكن مارتا لم تكن قد انتهت بعد.

ـ لا زال أمامك مقابلة حفيدي جايستن، قبل مغادرتك.. فهو من يحدد الرواتب والاتفاقات.. فليس من عادتي توظيف أحد. لكنني فكرت هذه المرة أن أساعده.. بإمكانك الخروج عبر الشرفة.. لا شك أن غاي جينكنز وصديقتك قريبان من هنا.

شكرتها وخرجت بسرعة، لتقطع الممر المرصوف وتنزل السلم

ببطء نحو المرجة المجزوزة القريبة.. وهزت رأسها بعجب.. لم تكن واثقة أنها تقوم بالصواب في قبولها للعمل.. مارتا غراهام لم تكن تماماً كما وصفها غاي وجون. بالنسبة لها كانت سيدة متسلطة سريعة الغضب، قد تحتاج إلى معاملة حذرة، إذا كانت لا تريد تعريض وظيفتها للخطر كلما تقابلنا.

سألتها جوليا بإثارة:

ـ كيف جرت المقابلة؟ هل حصلت على العمل؟

أجفلت مايسي، لأنها لم تلحظ اقترابها مع غاي، وهزت رأسها ببطء:

ـ أعتقد هذا.. لكنها قالت إن عليّ مقابلة حفيدها قبل أن أغادر.

قالت جوليا، تنظر بسعادة إلى غاي، الذي كان يتفرس بصديقتها عن كثب:

ـ وهذا ما قالته لي كذلك.

سألها:

ـ ما بك مايسي؟ ألا يعجبك الأمر؟

ابتسمت لهما بإشراق:

ـ أوه.. لا.. لا شيء من هذا.. الأمر فقط..

لم تكن ترغب في إفساد ابتهاج جوليا بالعمل قريباً من غاي، وحركت أذنها ممازحة:

ـ لم تكن كما تونعت.. بدت لي وكأنها تتوق لمعركة.

ضحك غاي بصوت منخفض:

ـ في هذه الحالة، لا تقلقي لشيء، فإذا رغبت مارتا في معركة، فستفتعلها، ولن تطلب إذناً من أحد.. لذا، كائناً من يكون مَن تود العراك معه، فهو ليس أنت!

ضحكت مايسي بدورها:

ـ أتعني أن تحت تلك الواجهة هناك بالفعل قلباً من ذهب؟

ـ شيء من هذا.. لكن لا داعي لإشغال رأسك في هذا الآن.. لقد رأيت جايستن يدخل المنزل بعد خروجك بالضبط. لذا، وبينما يتناقش مع مارتا، سأريكما بعض المباني الأخرى. ثم تقابلانه بعد عودتنا.

هكذا قاد غاي الفتاتين عبر المرجة، متجاوزاً الشجيرات القصيرة، ثم عبر بوابة صغيرة إلى جانب سياج وإلى مبنى المخازن.

العودة من جولة التفقد، كان أفضل جزء من الجولة بعد ساعة.. أخذهما غاي إلى المنزل عبر غرفة انتظار صغيرة خارج مكتب المزرعة، حيث تركهما جالستين على أريكة صغيرة، بينما دخل المكتب.. بضع دقائق وظهر ثانية وأشار إلى جوليا، وقال هامساً مشجعاً بابتسامة:

ـ أنت أولاً.. أراكما صباح الغد على الأرجح.. حظاً سعيداً!

دخلت جوليا إلى المكتب وأقفلت الباب، بينما تقدم غاي ليقف أمام مايسي

ـ آسف لاضطراري إلى تركككما بسرعة مايسي، لكن الأفضل أن أعود إلى عملي.. حظاً سعيداً لك أيضاً.

وحيدة، أخذت مايسي تنظر فيما حولها بفضول. كان هناك لوحة زيتية رائعة لسفينة شراعية مبحرة تحتل أحد الجدران والستائر المخرّمة الجميلة المربوطة على جانبي النافذة قرب مكان جلوسها على الجدار الآخر. وهذه بدورها جذبت اهتمامها إلى المنظر في الخارج، لتجد نفسها تنظر إلى نهر فضي متلوي كالأفعى، يشق طريقه أمام مبنى قديم منهدم تحت أشجار طويلة لا تبعد كثيراً عن حافة الماء... وأحست بنبضاتها تتسارع.. أيمكن أن يكون هذا هو المنزل الأصلي؟ إنه ليس أحد الأبنية السحيقة، لأن غاي أراهما كل ما هو موجود، وكلها موجودة في الجانب الآخر لهذا المنزل.. حتى من هنا، تستطيع أن تعرف أن ذلك المنزل قديم جداً، وأخذت تتساءل ما إذا كان هناك مكان خدمة الأحمر.

دون إنذار، رفعت رأسها لترى جوليا تقف قربها، اصبعيها

يرسمان علامة النصر، وتتمتم:

- هيا ادخلي، إنه ينتظرك.. وسيعجبك.. لأنه فعلاً شخص له شأن.

ارتفعت زاويتا فم مايسي بسرور.. فهذا اعتراف له قيمته من جوليا، المفتونة بغاي جينكنز.. وهذا الأمر الجديد يجب أن ترى بنفسها مدى صدقه!

بخطوات رشيقة، دخلت المكتب، وأغلقت الباب ورائها. لكن، لدى مقابلتها العينين الرماديتين الحجريتين للرجل الجالس وراء الطاولة، أمام النافذة، شهقت بصمت بخيبة أمل وأحست باللون الأحمر يرتفع بسرعة إلى وجهها، وهي تتكىء إلى الباب تسند نفسها.

إنه نفس الرجل الذي رأته في الليلة السابقة في صالون الفندق... وكان يحدق بها وبنفس الطريقة الساخطة.. ولا تزال غير قادرة أن تجد السبب. هزت رأسها غير مصدقة، ورأت لمعة سخرية على وجهه..

أشار إلى كرسي أمام طاولته، وقال آمراً بصوت بارد:

- اجلسي آنسة ميتلاند.. سأكون معك بعد دقيقة.

ابتلعت مايسي ريقها بصعوبة، وعلى مضض فعلت ما قيل لها، تضم يديها معاً بارتباك في حجرها، تدرس الرأس المحنيّ. الضوء الداخل من النافذة كان يتلاعب على صفحة وجهه، يجعل النظر إليه مريحاً أمام خلفية أثاث المكتب الداكن.. حتى الآن تعرف من هو وما رأيه بشخصيتها، لكنها لا تستطيع تخمين السبب.. وعليها الموافقة على وصف جوليا، وتنبيهها الأولي بأنه فعلاً الرجل الأكثر فتنة الذي شاهدته في حياتها!

وفجأة رفع عينيه عن الأوراق أمامه، وضبطها في نظرة فضولها.. وتلقت نظرته الفولاذية بثبات قدر استطاعتها، تضع شفتها السفلى بين أسنانها، إلى أن أنزلت رموشها السوداء لتخفي بريق عينيها عن النظر، مقتنعة أن الرجل أكثر عجرفة من أن يوصف بالكلمات.

- لا بد أنك تشعرين بالرضى عن نفسك، آنسة ميتلاند.

كلماته الأولى، رفعت نظرتها إليه مجدداً، بعيداً عن حمالة الأقلام التي كانت تتفحصها، لتحدّق به في ارتباك مرتاب. وأكمل:

- أكان من الصعب جداً عليك أن تكسي اهتمام جدتي؟ أفكار مايسي كانت منشوشة تماماً.. عما يتحدث؟

- أنا.. أنا.. أرجو عذرك؟

أخذ كلامها على ما هو عليه:

- فات الأوان لهذا آنسة ميتلاند.. أعرف أنها صدمة لك أن تنكشف خططك أمام الجهة الخاطئة، لكن.. ما كان يجب أن تكشفيها علناً، حقاً!

خطط؟ أية خطط؟ أحست مايسي أنها تعلق في نسيج عنكبوت. ما من أحد فكر أن يخبرها عن وجوده، فارتفع صوتها قليلاً وهي تقاوم لتعطي فكرة عن جهلها بما يقوله الرجل الجالس أمامها:

- لكن لا فكرة لي عما تتحدث عنه!

تراجع جايستن في عمق كرسيه، يسيطر على الموقف تماماً.. بينما جلست مايسي إلى الأمام على حافة كرسيها، تضم أصابعها وتفتحهما بقلق، ووجهها يحترق لوقاحته المتعمدة في تفحصها.

- أوه.. لا.. أنا واثق أنك لا فكرة لديك! لكن، مع أنك نجحت في خداع جدتي بهذه البراءة المدروسة، فلا تحاولي لعب نفس النوع من الخداع عليّ آنسة ميتلاند، فأنا لست سهل الانخداع لهذه الدرجة!

تراجعت مايسي في مقعدها مجفلة، ترفرف عينيها سخطاً.. واضح تماماً أنه كان يكبح غضبه بصعوبة، والأوضح أكثر أنه سيوجه إليها هذا الغضب لو أنها أثارته إلى حد أن يفقد السيطرة. قررت أن الصمت هو أفضل واقٍ لها، فمضغت شفتها لتركز مرة أخرى على حمالة الأقلام الرخامية.

- حسناً آنسة ميتلاند؟

بنفس حاد، أعادت نظرتها إليه، وتمسكت بشجاعتها متمتمة بخشونة:

- لا زلت أجهل عما تتحدث سيد غراهام.

قال بصبر ساخر:

- إذن لا زلت تنوين لعب دور البراءة؟ لكن لا تظني أنك لو أطلت التمثيل بما يكفي، سأصدقك، أؤكد لك أنني لن أصدق أبداً! سمعت ملاحظتك العابثة في الفندق بأذني.. أتذكرين؟

عبوس تفكير عميق جعّد جبين مايسي الناعم الأملس وهي تحاول استعادة الحديث الذي يشير إليه، قبل أن تلاحظ وجوده، حين كانت تمازح جون.. والجميع كان يضحك.. وكان هذا على شيء قالته هي.. أوه.. أجل، لقد بدأت تتذكر.. لقد قالت له ممازحة: «أبحث عن زوج يستطيع إعالتي بطريقة لست معتادة عليها»..

مع حلّ هذا اللغز، اختفى العبوس عن وجهها، ومالت إلى الوراء مسترخية في كرسيها.. ثم فعلت ما هو أسوأ ما يمكن أن تفعل.. ابتسمت.. ابتسامة بهيجة، بعثت بلمعان الضحك إلى عينيها الخضراوين.

أمام نظراته الساخرة، وتكدر الفم الحاد للرجل الجالس وراء الطاولة، أدركت مايسي ما هو التفسير الذي أطلقته تلك البسمة، فمحتها عن تعابيرها بسرعة، تميل مجدداً إلى الأمام تقول بحماسة:

- لكن ذلك كان.. مزاحاً.. لعبة.

- بإمكانك اعتبارها مزاحاً، لعبة، آنسة ميتلاند.. لكن دعيني أقول لك شيئاً.. أنا لا أعتبر أساليب الباحثات عن الثروة الوقحات أمثالك.. مزاحاً! هل أوضحت ما ينفي؟

أصبحت سمعتها مبعثرة على قدميها بعد قوله، وأحست بغضبها يتصاعد، وأخذت تتنفس بعمق.. لترد بصوت بارد مثل صوته:

- واضح تماماً سيد غراهام! لكن، لو تترك لي فرصة الشرح..

لوّح يده بنفاد صبر وقال بسخرية متسلطة:

- لا ضرورة لأي تفسير.. لقد سمعتك تتفوهين بالملاحظة.. وكانت نظرة الرضى منذ دقيقة تؤكد رأيي.

- لكن.. لكن.. لم أكن..

- آنسة ميتلاند.. أرجوك، لا تزيدي الأمور سوءاً بمحاولة تبرير نفسيتك المادية.

تعبيره المتعجرف.. أثار أعصاب مايسي بشكل لا يحتمل.

وقحة باحثة عن الثروة! شخصية مادية..! كيف يجرؤ على هذه الأقوال؟ لمعت عينا مايسي بنيران المعركة.. ولولا انخبال عقل جوليا بغاي لوجدت سعادة كبرى في أن تقول له بالضبط ما يمكنه فعله بوظيفته! لكنها لا تستطيع إفساد عطلة جوليا عليها. هكذا مات اللهيب في عينيها، تعرف دون أدنى شك، أنه سيبني المزيد من الشك على صمتها المذعن.

وقال بكراهية:

- هكذا أفضل.. طالما نعرف معاً أين نقف، وتدركين أنت أنني سأراقب تحركاتك عن كثب.. هنا مزرعة تربية المواشي. وليس سوق زواج.

ردت بخشونة:

- أجل سيد غراهام.

- لقد رتبت أمر أخذ صديقتك للغرفة المجاورة لمدبرة منزلنا السيدة سميث، وزوجها. وهناك غرفة إضافية مجاورة لغرفة جدتي أظنها الأفضل لك في هذه الظروف.

هزت مايسي رأسها.. ما هي الظروف التي يتكلم عنها والتي لا تعرفها؟ لكنها كانت مصممة أن لا تسأل!

- كمرافقة لجدتي، من المتوقع منك أن تتناولي الطعام مع بقية العائلة في غرفة الطعام. وكلي ثقة أنك ستحسنين التصرف بكل لباقة

www.liilas.com/vb3

واحترام وأنت هناك.

عند هذه النقطة اشتعلت النار مجدداً في عينيها. ما الذي يظنها ستفعل؟ أن تأكل بالسكين؟ أو أن تقوم بإغواء ضيوفه؟ لكنها ردت بسخرية مهينة:

- بالطبع سيد غراهام.. مع أن هذا قد يتطلب جهداً.. تفهم هذا، لكنني أعدك.. سأحاول!

لمعت العينان الرماديتان لمعان التحذير، لكنه قال:

- أوه.. أجل هناك شيء آخر آنسة ميتلاند. ليس لدي الوقت أو النية أن أجري مثل هذه المقابلات أكثر مما يجب. بكلمات أخرى: لن يعجبني أن أجدك وقد قررت في بحر أسبوع أن لمشروعك فرص النجاح في مكان آخر.. لذلك سآخذ توقيعك على عقد، يضمن خدماتك لشركة غراهام للماشية، للثلاثة أشهر القادمة.. أرجوك.

ثلاثة أشهر! هذه مدة أطول مما قدرته للبقاء في هذه المنطقة.. لا شك أن جوليا قد وقعت مثل هذا العقد.. لكنها لم تكن تنوي أن تتركه ينال كل ما يريد ونظرت إليه متحدية وقالت بهدوء مثير:

- هذا بالطبع شريطة أن يعمل العقد على الجهتين سيد غراهام.

- على الجهتين.. آنسة ميتلاند؟

- هذا صحيح.. الجهتين.. فأنا أريد أيضاً ضمان أن لا تستغني الشركة عن خدماتي قبل ثلاثة أشهر.. فلا أجد فائدة كذلك، سيد غراهام، في استمراري في التقدم إلى وظائف بعد أسبوع أو أكثر.

ضحك ضحكة قصيرة خشنة:

- لا يمكنك أن تتوقعي من أي رب عمل أن يوافق على شرط كهذا. قد لا تكونين مستحقة التوظيف لثلاثة أشهر.

- وقد لا تكون رب عمل يمكن تحمله لثلاثة أشهر.

من تعبير وجهه، بدا واضحاً أن لا أحد تحدى سلطته بهذه الطريقة من قبل.. لكن، بما أنه يظن الأسوأ بها.. فلا شيء تخسره!

وأجابها بحدة:

- قد أكون أضمن العمل للصة أو أسوأ!

لم تعرف إذا كان هذا الكلام هو هجوم آخر غير مباشر على شخصيتها أم لا. لكنها قالت:

- في هذه الحالة سيد غراهام.. سأرضى بفقرة تعطيك الحق بصرفي لو خرقت القانون.. وأظن هذا عدلاً.

ارتفع حاجبه ساخراً:

- كم أن هذا كرم أخلاق منك.

بعد لحظة أخرج نموذجاً مطبوعاً من درج، وسطّر كلمات في أسفلها ثم وقعها.. ومرر الورقة إلى مايسي، يسأل بسخرية:

- هل هذا يكفي آنسة ميتلاند؟

وضعت مايسي توقيعها، وسمحت لنفسها بالابتسام راضية:

- أظن هذا سيد غراهام.. طالما نعرف كلانا أين نقف.. كما قلت محقاً.

لم يرد عليها بابتسامة، كما تعرف تماماً أنه لن يرد. ولما تبقى من المقابلة تحدث معها بترفع المسؤول العادي.. عن الواجبات، الأجر، وساعات العمل.. لكن بإحساس بالحرية، وجدت نفسها خارج المكتب في غرفة الانتظار.

أسرعت جوليا نحوها، وابتسامة سعادة على وجهها:

- كيف جرت الأمور؟ لقد تأخرت كثيراً.. ما رأيك بالرئيس؟

- أوه.. عظيم!

وأجبرت ابتسامة على وجهها لأجل صديقتها وكررت:

- عظيم.. فقط!

معاً اتجهتا إلى الردهة تفتشان عن الباب، لكن وهما خارجتان، كادتا تصطدمان بامرأة صغيرة الجسم، بنية الشعر، لها مظهر الأم، آتية من الجهة الخلفية للمنزل. كان لها عينين زرقاوين شاحبتين، وخدين

محمرين.. فستانها المطبّع محاط بمريلة بيضاء مربوطة حول الخصر.. قالت المرأة:

ـ لا بد أنكما مايسي وجوليا اللتين كان بخبرني غاي عنهما. أنا لودي سمبث، مدبرة المنزل، الجميع يناديني لودي.

وابتسمت إلى الفتاة الداكنة الشعر أولاً:

ـ لا بد أنك جوليا؟ وستعملين معي؟

ـ هذا صحيح، لقد حصلت على الوظيفة لتوي.

ربتت لودي ذراع جوليا برقة:

ـ عظيم.. أظننا سنتفق تماماً.. فلا شيء أسوأ من الخلاف في المطبخ.

وضحكت، ثم نظرت إلى مايسي بخبث:

ـ إذن، هذا يعني أنك مرافقة مارتا.. ومن نظرتي إلى شعرك الأحمر، أنت لن تتركيها ترهبك..

قاطعتها جوليا ضاحكة:

ـ أوه.. مايسي حسنة الطباع.. بالنسبة لحمراء الشعر.

وهذا ما جعل الثلاثة يضحكن.

أشارت لودي إلى باب متحرك لا زال يتحرك قليلاً في نهاية الممر وقالت:

ـ ربما أحببتما أن تتناولا الشاي معي..

والتفتت إلى جوليا:

ـ كهذا سترين شيئاً من منطقة عملك، وأظنها ستعجبك.

وكان هذا الكلام لا يفي الواقع حقه، كما قررت الفتاتان بعد لحاقهما بالمرأة إلى المطبخ.. فهو لم يكن واحداً من أضخم المطابخ الذي شاهدتاه، بل الأفضل تجهيزاً كذلك.. كان هناك خزائن لا حد لها، كلها على طراز أوروبي، حتى الطاولة البيضاوية المصقولة، والكراسي الخشبية المماثلة.. بمقاعدها المنجدة بقماش ملون،

وقالت لودي بحبور:

ـ اجلسا.. الشاي سيكون جاهزاً بسرعة.

ما هي إلا لحظات حتى كانت قد وضعت قماشاً مخرماً فوق الطاولة، وجاءت بفنجانين وصحون خزفية بلون بني ومذهب، مع طبق مليء بالبسكويت الطازج، وقطع الكايك المغموس بالشوكولا.

ـ كلاكما لا تخشيان زيادة في وزنكما، كما يبدو.. وأنا تخليت عن الحمية منذ سنوات.

بعد فنجانين من الشاي، وقطعتي حلوى لكل منهما، قالت لودي:

ـ إذا أردتما التدخين فافعلا.. هناك منفضة على الرف الفاصل هناك. أنا لا أدخن، لكن زوجي إيرني يدخن..

مدّت مايسي يدها تلتقط المنفضة، وقبل أن تضعها على الطاولة انفتح الباب ودخل جايسن غراهام إلى المطبخ، بخطوة رشيقة. تقدم إلى الطاولة يبتسم للودي، مما جعل قلب مايسي يخفق بين ضلوعها، دون تفسير، وهي تتفحص النظرة المزدرية الباردة المتعجرفة. لكنها في تلك اللحظة، شهدت منه مزاجاً يختلف تماماً.

ـ جئت لأقول لك لودي إنني لن أكون ساعة الغداء هنا.. سأذهب لرؤية كيرك براون، وقد أتناول الغداء عنده.

لمعت عيناه باشتهاء على قطعة الحلوى بالشوكولا المتبقية، وقال وكأنه يكلم نفسه:

ـ همم.. تبدو لذيذة.

وبسرعة التقطها واتجه إلى الباب.. فنادته لودي:

ـ جايسن.. هل سيكون لدينا أحد على العشاء الليلة؟

استدار وإحدى يديه على الباب، وأدار رأسه نحو جوليا ومايسي قائلاً:

ـ لا أحد.. إلا إذا كانت الفتاتان ستبقيان هنا.

وقفت مايسي بسرعة، الحمرة ترتفع إلى وجهها، غاضبة من نفسها لإعطائه الفرصة للتلميح بأنهما لا زالتا هنا أملاً بطعام مجاني.

لا بد أنه خمّن ما تفكر به، فقد أمرها بخشونة:

- اجلسي مايسي..! فأنا لا أشير عليكما بالرحيل.. كلاكما مرحب به للبقاء على العشاء إذا رغبتما.

استخدامه اسمها الأول وكأنه يستخدمه منذ سنوات، إضافة إلى كلماته، جعل مايسي تعود إلى مقعدها بارتباك متوتر، وحين رفعت نظرها كان قد رحل.

سألتها لودي:

- وهل ظننت حقاً أن جايستن يريدكما أن ترحلا؟ أؤكد لك أنه يعني ما يقول.. فكلاكما مرحب به إذا شئتما.. نحن معتادون على الزوار.

وقفت جوليا هذه المرة:

- لا.. حقاً، يجب أن نذهب.. شكراً كثيراً، لودي.. أمامنا توضيب ثيابنا مجدداً بعد الظهر، وقررنا النوم باكراً بسبب الليل الطويل الذي سهرناه بالأمس.

- هذا إذا لم تعتقدا أن أحداً يستعجل رحيلكما.

قالت مايسي، تؤكد كلام جوليا:

- لا.. حقاً لودي، يجب أن نذهب، شكراً لك على الشاي، والحلوى.. كانت رائعة.

بعد الوداع، عادت الفتاتان بسرعة إلى البلدة، دون أن تقول أي منهما شيئاً، سارحتان كل في تفكيرها.

بعد الظهر، وهما على وشك الانتهاء من إعادة توضيب الحقيبتين، فتحت جوليا الموضوع الذي كان يشغل بالها، منذ مقابلتهما هذا الصباح.

- مايسي؟

- نعم؟

- أنت لست سعيدة حقاً بالعمل هناك في الغد، أليس كذلك؟

تابعت مايسي عملها:

- ما الذي أعطاك هذه الفكرة؟ وكيف لي إذن أن أدقق بماضي ميتلاند المثير؟

- كوني جادة مايسي. أعرف أن هناك خطأ ما.. لم أرك هكذا من قبل.

ليس هذا أمراً عجيباً بعد النعوت التي أطلقت عليها هذا الصباح.. وقالت بصوت مرتفع:

- أنت تتخيلين جوليا.. فأنا أحس بالإثارة لفكرة العمل هناك.

- لا.. لست أتخيل. أعرفك مدة أطول من أن لا أعرف الدلائل.. هناك شيء يقلقك، وأنا أنوي أن أعرفه.. إذا أردت إلغاء كل شيء فقولي! أعرف أنني مغرمة قليلاً بغاي لكن ليس إلى درجة عدم القدرة على التراجع.. فإذا كان هذا ما يمنعك فلا تترددي! فنحن من المفترض أن نقضي عطلة جيدة معاً.

ابتسمت مايسي لصديقتها شاكرة مقدرة، وتركت ملابسها على حافة الحقيبة، وفتشت فوق طاولة الزينة عن علبة سكائرها.. أشعلت واحدة، تحس بالانزعاج لارتجاف أصابعها، فرمت نفسها منبطحة على السرير.

تابعت جوليا السؤال بنفاذ صبر:

- حسن؟

تمتمت مايسي مفكرة:

- الأمر كله سخيف.. حقاً.

وانقلبت على ظهرها تنفث دخان السيكارة إلى السقف:

- لو كانت مارتا وحدها من يجب أن أرضى بها فلربما لم يكن الأمر سيئاً.. لكن حفيدها هذا يثير أعصابي، ودونما سبب ظاهر، إنه

يعتبر أن لي شخصية مادية، وأنني باحثة عن الثروة، حقيرة. وهذه كلماته حرفياً.

ـ جايستن قال هذا؟

واضح أن جوليا لا تصدق، لكن لدى رفع مايسي حاجبها المقوس تساؤلاً لاستخدامها اسم رب عملهما الأول تمتمت تدافع عن نفسها:

ـ طلب مني أن أناديه هكذا. لكن لماذا؟ ما أسباب قوله هذا؟

ـ لأنه سمع ذلك التعليق الذي قلته الليلة الماضية حول التفتيش عن زوج يستطيع إعالتي.. الخ.

ـ لكن، ألم تقولي له إنها كانت مزحة؟ وإنها لا تعني شيئاً؟

ـ أتمزحين؟ حاولي أنت أن تقولي له؟ لقد أجابني أنني أحاول تبرير شخصيتي المادية! فالسيد غراهام لا يعتبر مثل هذا الكلام مزاحاً، وقرر أنني امرأة غير مرغوب بها.. وأنني أبحث عن زوج ثري أستطيع أن أنشب فيه براثني كالمرتزقة!

قالت جوليا متلهفة:

ـ لا يمكن أن تكوني جادة!

تسللت سحابة أخرى من الدخان إلى السقف، وضحكت مايسي دونما مرح:

ـ أوافق أنك قد تظنينني غير جادة.. لكنني جادة.. ربما يظن أنني أسعى وراءه.. وهذه نكتة جيدة!

ـ واضح إذن أننا لن نستطيع العمل هناك طالما يظن هذا بك. سأذهب إلى الأسفل وأتصل هاتفياً لأقول اننا غيرنا رأينا.

وقفزت عن السرير متجهة إلى الباب، فصاحت مايسي:

ـ وكيف نستطيع هذا بعد توقيع العقود؟

وقفت جوليا في مكانها مسمرة، تسأل بارتياب:

ـ أية عقود؟

رفعت مايسي نفسها عن السرير لتنظر إلى صديقتها:

ـ ألم توقعي عقداً؟

هزت جوليا رأسها نفياً، فعادت مايسي لتستلقي على ظهرها ثانية وتكمل:

ـ لماذا جعلني أوقع عقداً إذن؟

سألت جوليا بنفاذ صبر:

ـ أي عقد؟

ـ إنه عقد يضمن العمل هناك ثلاثة أشهر.. ما كنت لأضع توقيعي عليه لولا أنني اعتقدت أنك فعلت الشيء نفسه.

عادت جوليا لتجلس على حافة السرير متثاقلة:

ـ إذن.. لقد علقنا!

رمت مايسي بقدميها عن السرير، وأطفأت سيكارتها.

ـ ربما علقنا بهذه الطريقة، لكنني ملعونة لو تركت جايستن غراهام ينال ما يريد على طريقته!

ـ وماذا ستفعلين؟

ـ لم أقرر بعد.. لكن شيء واحد يمكنك الوثوق منه، سينال المتاعب الكافية مقابل ماله، وقد يجدني السيد غراهام أبحث عن الثروة بين ضيوفه.

صاحت جوليا مصدومة بابتهاج:

ـ مايسي! لن تفعلي هذا؟

ـ أوه.. بلى.. سأفعل، لو آمنت بأن ما سأفعله يزعج جايستن غراهام الذي لا يحتمل.. ثم، قد يصاب أبي بخيبة أمل رهيبة لو عرف أنني وصلت إلى هنا ولم أحقق ببدايات آل ميتلاند.

ـ لكنه لم يبدُ متحاملاً عليك حين جاء إلى المطبخ وكنا مع لودي.

ـ لا شك أنه كان يمثل دور الفاتن أمامك وأمام لودي، فلن يفيده أن يعرف الجميع رأيه الشخصي بي.

عادت جوليا على مضض إلى توضيب حقيبتها، متمتمة:

- على أي حال، كنت أتمنى أن لا يحدث هذا، بهذه الطريقة.

ابتسمت مايسي وأحنت كتفيها:

- من يعلم! قد تميل الأمور إلى المرح..

قاطعتها صديقتها بقلق:

- مايسي! لا تفكري هكذا..! سيزيد هذا الأمور سوءاً!

تبع هذا هزة كتف أخرى وضحكة.. وجاء الرد المتعقل:

- وكم يمكن للأمور أن تسوء؟

***

٤ - لا تجربي صبري!

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل من صباح يوم الاثنين حين تركت مايسي وجوليا غرفتهما ووضعتا أغراضهما في الثان، ودفعتا فاتورة الفندق، ثم ودعتا ماك وڤيرا.

أوصلهما ماك إلى سيارتهما المتوقفة أمام المبنى وقال بطريقته الودية:

- إذا كان هناك أي شيء يمكنني فعله لكما يوماً، فما عليكما سوى أن تطلباه.. أظنكما ستتمتعان بالعمل في ماراندو.. جايستن رب عمل عادل، لم أسمع عنه أي شكوى من أي موظف لديه بعد.

فتحت مايسي فمها لترد، لكن جوليا قاطعتها بسرعة قبل أن تتكلم:

- شكراً جزيلاً لك ماك.. أنا متأكدة أن العمل سيعجبنا.

بهذا لم تترك المجال لمايسي لقول شيء سوى:

- وداعاً ماك.

وأدارت الثان بسرعة لتنطلق به عبر الشارع تاركة سحابة غبار ورائها. ونظرت مايسي إلى رفيقتها متسائلة ثم انفجرت بالضحك، وسألت مرحة:

- ماذا ظننت أنني سأقول؟

أبطأت جوليا سرعة السيارة، وضحكت مؤنبة:

- لم أكن واثقة، لكنني لم أكن أنوي البقاء واقفة لأكتشف! أعتقد

فراشة المحبة

أن الكتمان يوجب علينا الانطلاق الفوري، لأنني أعرفك حين تفقدين السيطرة على رأسك الأحمر.

ردت مايسي خصلات شعر متمردة عن جبينها:

ـ لكنني لم أفعل هذا منذ زمن طويل.

ردت جوليا ببطء:

ـ صحيح.. لكنني ظننت أن الأمر وشيك.

التوى فم مايسي:

ـ عيب عليك جوليا بايتون، حتى لمجرد التفكير بهذا. لقد كنت رابطة الجأش ومسيطرة على مشاعري تماماً.. صدقيني، لو حدث وفقدت أعصابي.. سأعرف تماماً إلى أين أوجه قوتها الكاملة.. إلى رجل واحد، لا يحتمل، واثق من نفسه أكثر من اللازم، وثري أكثر من اللازم!

ـ مسكين جايستن!

ـ اللعنة على المسكين جايستن! انظري إلى كل الأشياء التي اتهمني بها!

ـ وانظري إلى كل الأشياء التي اتهمته بها لتوك!

تساءلت مايسي عن وجهة نظرها هذه بضحكة:

ـ وهل أنا سيئة مثله؟ لكنه أثبت بنفسه أنه ما قلت عنه بالضبط.. بينما لم يثبت عليّ شيء.

حاولت جوليا أن لا تكون منحاملة وتنظر إلى المسألة من جانبيها.

ـ أظن أن شخصاً لديه كل هذا المال، من الكريه أن يكتشف أنه تزوج لمجرد الطمع في ماله.

ـ حسناً.. هذه مشكلة على الأرجح لن تقلقنا.. ومن القليل القليل الذي أعرفه عنه، أتصور هذا هو السبب الوحيد الذي يجعل أية امرأة ترغب في الزواج منه، ولست أعجب لماذا لا زال أعزباً.

ضحكت جوليا:

ـ مايسي، لم أسمعك يوماً متحيزة إلى هذا الحد! لا يمكنك تصديق هذا! حتى أنت يجب أن تعترفي أن جايستن من أكثر الرجال جاذبية.. ولا يمكن أن يكون لديه صعوبة في مصادقة الفتيات، حتى ولو لم يكن لديه قرش واحد.

«ربما» على مضض كان الرد الوحيد من مايسي التي تذكرت أول انطباع لها عنه في الفندق.. لكن المظاهر يمكن أن تكون خادعة جداً.. وتذكرت تصرفه نحوها خلال اللقاء بينهما، وساعدها هذا على تقوية تصميمها أن لا تنجرف وراء جاذبية جسدية صرفة.

وسرعان ما توقفتا قريباً من المدخل الخلفي للمنزل، حيث جاءت لودي مسرورة لتحييهما، يلحق بها رجل قصير أشقر الشعر بثياب العمل.

ـ هذا إيرني، زوجي.. سيحمل لكما حقيبتيكما إلى فوق. أتريدان شيئاً آخر من الثان؟

أخرجت الفتاتان حقائب صغيرة أخرى، ولحقتا بلودي إلى المنزل، ثم صعوداً على السلم الواسع المقوس، وإيرني يحمل حقيبتيهما.. عند أعلى السلم، قادتهما لودي عبر الممر إلى اليسار مشيرة: هذا جناح مارتا.

ثم توقفت، ودلتهما على ما ستكون غرفة مايسي. كانت جميلة الأثاث، بخشب غني اللون، وسرير على طراز أوروبي بأربعة قوائم مرتفعة، مغطى بغطاء من القوال الأخضر الشاحب والليموني والأبيض المطبع.. الخزانة بأبوابها المزدوجة تغطي جداراً كاملاً، بينما طاولة الزينة المماثلة، تحمل مرآة ضخمة متحركة، وفي إحدى الزوايا، طاولة كتابة صغيرة مترافقة مع كرسي مريحة المظهر.. باب مزدوج آخر، في أحد الجدران، كان يخفي حمامها الخاص بينما الأرضية من الخشب اللماع، مغطاة هنا وهناك ببسط خضراء شاحبة.. لم تستطع أن تجد أية شائبة في مكان إقامتها، وأحست بالرضى.

وضع إيرني حقيبتها في الغرفة، وعادت لودي مرة أخرى للسير حتى آخر الردهة حيث فتحت باب غرفة أخرى، كانت تكسوها أوراق جدران، بألوان زهرية شاحبة، وأزهار زرقاء.. وسجادة زهرية مزهرة تتناسب تماماً مع الطراز الناعم. ولها حمام خاص، ومنظر جميل من كلا النافذتين يطل على العشب المتماوج، وعلى التلال البعيدة.

قالت لودي:

- أتوقع أن ترغبا في إفراغ حقائبكما، وترتاحا قليلاً. لذا بعد أن ترتاحا، انزلا إلى المطبخ.. وسنرى ماذا سنفعل.

على الفور، تركت لودي وزوجها الفتاتين وهما يبتسمان، وتوجهت مايسي إلى غرفتها لتفرغ حقيبتها.. هذه المرة كانت تعرف أن إقامتها ستطول. أخرجت كل شيء من الحقائب.. علقت الثياب بحذر في الخزانة الطويلة، سرعان ما انتهت واستدارت تنظر إلى صورتها في المرآة، تتفقد جسدها النحيل بالبنطلون الأصفر، والبلوزة البيضاء والصفراء.. مالت إلى الأمام، تمرر المشط في شعرها المتموج، وتضيف لمسة أحمر شفاه برونزية إلى فمها. ثم تراجعت قليلاً تهز كتفيها.. هذا يكفي.. استدارت لتخرج من الغرفة.

في المطبخ وجدت جوليا هناك، تساعد لودي بتحضير قهوة منتصف الصباح.. صينية كانت موضوعة على أحد الرفوف عليها فنجانين، وطبق من كايك مقطع.. أنهت لودي صب القهوة في إبريق طويل نحيل ووضعته إلى جانب الفنجانين.. وقالت.

- قالت مارتا إنك ستتناولين قهوة الصباح معها.. لذا فكرت أنك قد ترغبين في أخذها بنفسك.. إنها في المكتبة، حيث رأيتها بالأمس.

هزت مايسي رأسها، وبنظرة خاصة إلى جوليا كأنها تقول «ها قد بدأنا» خرجت عبر الباب المتحرك متجهة إلى المكتبة. دقت الباب بنعومة وثبات، وانتظرت إلى أن سمعت مارتا تقول «أدخل» وأدارت المقبض.

استقبلتها مارتا بخشونة:

- آه.. هذه أنت.

دخلت مايسي ووضعت الصينية على الطاولة ما بين المقعد والصوفا.. وأكملت العجوز:

- ظننت نفسي أفزعتك بالأمس، ولن تأتي.

قررت في ساعتها أنها لن تترك اثنين من عائلة غراهام برهبانها، وردت بسرعة مع ابتسامة جافة:

- وهل كنت تأملين أن تكوني قد أفزعتني؟

- بالطبع لا! اجلسي يا فتاة، اجلسي! فأنا لست من العائلة المالكة، ولست مضطرة للوقوف في حضرتي.. صبي لنا القهوة، وبينما أنت تفعلين هذا قولي لي لماذا ظننت أنني أريد إفزاعك.

ارتبكت مايسي.. لكن إلى أن سألت كيف تحب مارتا قهوتها، حلوة ودون حليب، وصبت اثنين وأضافت الحليب إلى قهوتها، كانت قد استجمعت أفكارها.. وأجابت:

- لم أكن أعرف هذا حين كنت تكلمينني. لكن كان لدي انطباع أنك كنت تحاولين دفعي لقول شيء ما..

ارتشفت القهوة، ورفعت كتفيها:

- وما اكتشفت سبب هذا إلا فيما بعد.

- وما كان هذا؟

الآن، أولن تقول أبداً. وواجهت مايسي سائلتها بصراحة:

- لأن حفيدك يظن أنني جئت إلى هنا لهدف واحد، هو أن أجد لنفسي زوجاً غنياً.

ها قد قالت لها، ولتفهم من قولها ما تشاء!

- أهذه كانت نيتك؟

أحست مايسي بالاحمرار أمام العينين الزرقاوين المتفرستين، وسارعت لتنكر التلميح:

ـ لا . . لم يكن هذا في نيتي! لم أفكر بهذا أبداً، حتى أنني لا أريد الزواج.

ـ ماذا؟ لا تريدين الزواج؟ أبداً؟

ارتسمت بسمة خفيفة على زوايا فم مايسي.

ـ حسناً . . ليس قبل فترة طويلة . . على الأقل، أريد إنهاء جولتي التي بدأتها أولاً.

سألت مارتا بصوت ناعم:

ـ أليس هناك رجل ينتظرك في . . أين قالت صديقتك جوليا . . في ملبورن؟

بتفكيرها بنبل كريستوفر، آخر صديق لها، قطبت مايسي، لا بد أنه ينتظرها، مع أنها طلبت منه أن لا يفعل، لكنها تعرف أن هذا ليس ما تقصده مارتا. فقالت:

ـ لا . . ليس في الواقع.

ـ هاه! من النوع الضعيف الذي يتركك تنفدين بجلدك كما أعتقد . . وهذا لا يفيدك! ما تحتاجين إليه يا فتاة، رجل يسيطر عليك، وإذا لم أكن مخطئة في ظني، أنت فتاة صعبة المراس على رجل . . خاصة إذا كان يحبك!

لم تكن واثقة كيف دخلتا في موضوع الحب، لكنها أحست بالراحة لتغيّر طباع مارتا، ووجدت مايسي نفسها متسلية بأفكار العجوز في هذا الموضوع . . وقالت:

ـ أحببت بيتك . . إنه جميل.

التمعت ضحكة خفيفة في عمق عينيها الزرقاوين.

ـ مصممة على تغيير الموضوع، أليس كذلك؟ المنزل ليس لي . . إنه منزل جايستن.

ـ لكنك عشت هنا دائماً؟

ـ منذ تزوجت جد جايستن . . لدي منزل آخر على الساحل بنيناه

منذ العديد من السنوات. لكن، مع غزو المتنزهين والسواح للمنطقة خلال أشهر الصيف، لم يعد المكان كما كان. فالمتعة الهادئة ذهبت . . ولهذا أحب المكان هنا . . لأنه مريح.

تعاطفت مايسي مع العجوز . . فبعد ضجة المدينة تبدو ماراندو جنة الهدوء والسكون. وهذا ما قالته لمارتا، التي سألتها بدورها:

ـ وتظنين نفسك قادرة على تحمل العزلة لثلاثة أشهر؟ معظم الفتيات في مثل سنك يصبحن تواقات للعودة إلى المدينة، بعد أسبوعين فقط من الإقامة هنا.

ضحكت مايسي:

ـ لن أصف الحياة هنا بالعزلة بالضبط. فهناك الكثير من الناس يعيشون على الأملاك، والمكان لا يبعد كثيراً عن البلدة.

ـ لكنها الوجوه نفسها على مدار الأسبوع. حتى حين تذهبين إلى البلدة لا يختلف الأمر كثيراً . . وهذا عادة يدفع بالفتيات إلى الهرب . . فلا خيارات كثيرة أمامهن. البعض لا يتحمل . . ويؤثر هذا عليهن تأثير السجن . . إما أن يغادرن أو يختنقن.

فكرت مايسي قليلاً ثم أجابت:

ـ لا أرى أن هذا سيؤثر عليّ بنفس الطريقة.

كان هذا القول لمجرد النكاية بحفيدة مارتا، وأكملت:

ـ صحيح أننا هنا منذ السبت فقط، ولم نمر بعد بالتجربة، لكنني أظن أنني سأحب المكان والحياة فيه . . فما من جيران يتجسسون عليك من خلف الستائر كلما انفتح باب منزلك أو أقفل . . ولا أستطيع تصور شيء أفضل من هذا.

ـ ألا تحبين جيرانك؟

ـ أسرة بايتون، أهل جوليا، تسكن إلى جوارنا من جهة، وهم أناس طيبون . . أما الجهة الأخرى فتسكنها عائلة جيليس، والمرأة أكثر النساء فضولية على وجه الأرض . . إنها مزعجة حقاً!

هزت مارتا رأسها وابتسمت:

ـ أعرف هذا النوع، لكن، لن تعاني مثل هذا التطفل هنا. نحن حتى لا نستطيع رؤية منازل الجيران.

قبل أن تقول أي منهما كلمة أخرى، انفتح الباب، ودخلت فتاة طويلة سوداء الشعر في حوالي السادسة والعشرين من عمرها، إلى الغرفة.. ولم يلزم الكثير من التفكير لمايسي كي تعرف أنها شقيقة جايستن، فسوزان مميزة جداً في التشابه العائلي.. عدا عن الشعر الأسود، الذي تصففه سوزان بقصة قصيرة، هناك نفس العينين الرماديتين، مع أن الزرقة فيهما أكثر بقليل، لكن البنية كانت نفسها، والفم الرائع التحديد له نفس الثنايا الحساسة التي لشقيقها الأكبر سناً.. كانت ترتدي بذلة بينطلون فخمة غالية الثمن، بلون «الإسكيلاما» المتألق الذي يناسب تماماً لون بشرتها.

جلست على الأريكة إلى جانب مايسي، ونظرت إليهما معاً بابتسامة مذهلة بيضاء. وقالت لجدتها بابتهاج:

ـ جئت أقابل مرافقتك الجديدة مارتا. ولأتناول القهوة معكما، أرجو أن لا تكونا قد شربتماها كلها.

قالت مارتا، وعيناها تلينان رقة وهي تنظر إلى الصورة الرائعة التي تمثلها حفيدتها:

ـ تفضلي.

صبت سوزان لنفسها فنجاناً، تضيف الحليب والسكر. بينما رفضت مارتا عرض مايسي لملء فنجانها مجدداً وسألت سوزان:

ـ ماذا كنت تفعلين هذا الصباح؟

ـ خرجت بنزهة على الجواد مع جايستن، وعدت لوحدي. بعد الفطور تلقيت اتصالاً هاتفياً من كاري.

والتفتت إلى مايسي:

ـ إنه خطيبي المستقبلي.. كاري سيمنز.. يقول إنه لن يستطيع

الحضور قبل أسبوعين على الأقل.. وكنت أفكر أن يطير بي جايستن إلى «بريزبن» يوم الأربعاء لأراه، فهناك بضعة أشياء أريد ترتيبها مع متعهد الحفلات.

ومالت برأسها إلى جانب واحد متسائلة، تنتظر رد فعل مارتا على فكرتها.. وابتسمت الجدة بتفهم محب:

ـ أوه أجل، لا يجب أن ننسى متعهد الحفلات، أليس كذلك؟ اذهبي إذا شئت.. فأنت ستبقين متجهمة الوجه طوال الوقت إذا لم تفعلي.. لكن يجب أن تزوري العمة إيدنا وأنت هناك وإلا لن تسامحك أبداً، خاصة وأنها لن تستطيع حضور حفلتك.

جلست مايسي تتعجب للسهولة التي تتحدثان بها عن الطيران إلى بريزبن، وكأن الأمر عادي، لكنها وبخت نفسها قائلة إن هذا لا شك أمر عادي لعائلة غراهام، والعائلات الثرية الأخرى مثلها.

تابعت سوزان بحبور، تتصور لقائها السعيد بكاري:

ـ وبينما أنا في بريزبن، يمكنني إرسال الدعوات في البريد.

سألتها مارتا مقطبة:

ـ ماذا؟ لم ترسليها بعد؟ حقاً سوزان! كان يجب أن يتم هذا في الأسبوع الماضي على الأكثر! لم أعرف شخصاً مهملاً مثلك.

اضطرت سوزان للاحتجاج مع ابتسامة خجل:

ـ لم تكن غلطتي لوحدي.. طلبت من جاكي أن تطبع لي العناوين على المغلفات يوم الأربعاء الماضي، لكنك تعرفين كم هي مريضة.. ولم أستطع إعادة الطلب منها.

ـ ألم يخطر ببالك أن تكتبيها بخط يدك؟

ـ أجل.. خطر ببالي، لكن بعد إملاء كل تلك الدعوات بخط اليد، التفكير بكتابة المغلفات أيضاً أثبط همتي.

التفتت بابتسامتها البيضاء إلى مايسي، ثم إلى مارتا، قبل أن تكمل:

ـ كنت أتساءل ما إذا كان بالإمكان أن تعيريني مايسي بعد الظهر كي أنهي الدعوات اليوم.

والتفتت إلى مايسي:

ـ هذا إذا لم تمانعي؟

لم تمانع مايسي بالطبع. على أي حال هذا جزء من وظيفتها. إنها هنا لتعمل، لا لكي تتصرف كضيفة.

أذعنت مارتا، ثم قالت بتصميم:

ـ لكن تأكدي من إنهائها جميعاً، لا أريد المزيد من الحجج سوزان.. يجب أن ترسليها جميعها من بريزبن يوم الأربعاء.

غمزت سوزان لجدتها:

ـ اعتبريها انتهت سآخذ كل ما هو ضروري إلى المكتب بعد الظهر، وسألاقيك هناك مايسي.. أوكي؟

حاولت مايسي جهدها أن تحافظ على بسمتها:

ـ بكل تأكيد..

أيجب أن يكون هذا في المكتب؟ ألا يمكن أن يكون في مكان آخر؟ كانت تعرف أنها مضطرة لاستخدام المكتب في عملها كسكرتيرة لكنها فكرت أن يكون يومها الأول على الأقل بعيداً عن جايستن وانتقاداته. تنهدت متفائلة، لربما مع قليل من الحظ، لن يكون هناك بعد الظهر.

دقة أخرى على باب المكتبة وأطلت جوليا تدخل الغرفة.

ـ جئت آخذ الصبية سيدة غراهام.. إذا انتهيتم منها.

ضحكت سوزان لجدتها:

ـ أوه.. من الأفضل مناداتها مارتا، فالجميع يفعل هذا.. تقول إنها لا ترى فائدة من الاسم الأول إذا لم يستخدمه أحد.

نقلت جوليا نظرها من سوزان إلى مارتا، فابتسمت العجوز بفتنة تقول:

ـ أجل، نادني مارتا ابنتي.. كما قالت لك حفيدتي المدللة.. فالجميع ينادينني هكذا. وأنت أيضاً مايسي.. فنحن لسنا في حفل رسمي هنا.

بعد خروج جوليا بقليل، نهضت سوزان إلى الباب قائلة:

ـ سأصعد إلى غرفتي وأرى ماذا سآخذ معي من ثياب إلى بريزبن. سأراكما معاً وقت الغداء.

بابتسامة سريعة غادرت الغرفة.

انحنت مارتا تلتقط كتاباً سميكاً من على الطاولة، وابتسمت لمايسي، التي فكرت كم كانت العجوز فاتنة في أيامها:

ـ أنا مسرورة لأنك تحبين القراءة.. فعيناي لم تعودا كما كانتا، ولا أحب وضع نظاراتي، لذا فكرت أن تقرأي لي بصوت مرتفع.. أظن هذا الكتاب سيعجبك.. إنه فكاهي ومسلي.

أخذت مايسي الكتاب، وفتحت الصفحة إلى حيث علامة جلدية، وبدأت القراءة. ولم تمض برهة حتى كانتا تضحكان بهدوء بينما تكشف القصة عن الشخصيات المضحكة.. وما إن حل موعد الغداء، حتى كانت مايسي مستغرقة في القصة مثل مارتا تماماً.

ثلاث نسوة فقط كن حول مائدة الطعام البيضاوية، مما جعل مايسي تتساءل عما إذا كان أملها قد تحقق لهذا اليوم. وبكل تأكيد كانت تأمل! افترضت أن جوليا ستتناول الطعام مع لودي وإيرني في المطبخ. وكانت تفضل لو تتناول طعامها حيث تتخلص من عيني السيد الصقريتين، لكن الفرصة لم تكن متاحة لها.

على أي حال، بالرغم من قلة الموجودين، إلا أن الحديث كان متدفقاً، ومع سرد سوزان لمايسي الشائعات المتداولة والفضائح المزعومة، والتي تتطاير في الجوار.. ومع تعليقات مارتا اللاذعة، مرت وجبة الطعام بسرعة ورضى.

فيما بعد قالت مارتا لمايسي إنها عادة ترتاح بعد الغداء. وبعد أن

www.liilas.com/vb3

استقرت السيدة بارتياح في فراشها، وأسدلت لها الستائر، عادت مايسي مسرعة لتنزل إلى المكتب. قد تتمكن من إنهاء عملها قبل عودة جايستن.

بحماس، كشفت الغطاء عن الطابعة الأليكترونية، وجلست على الكرسي المخصص للطابعة خلف الطاولة الأخرى في الغرفة، البعيدة قليلاً عن جانب الطاولة الجلدية الكبيرة التي يستخدمها جايستن..

دخلت سوزان إلى المكتب تحمل علبة كرتون كبيرة مربعة. وابتسمت لمايسي، ووضعت العلبة على طرف الطاولة، ثم أخرجت منها دفتراً سميكاً على صفحاته أسماء وعناوين، وأعطته لمايسي قائلة:

ـ هذه للمغلفات. لكن لا تشغلي بالك في إيجاد الدعوة المناسبة للمغلف المناسب، سأفعل هذا في الغد.. أنا مسرورة فقط لأنني لن أكتبها بيدي.. أتظنين أنك قادرة على إنهائها كلها اليوم؟

فتشت مايسي في الأوراق بسرعة ثم هزت رأسها:

ـ أظن هذا. كم عددها؟

هزّت سوزان كتفيها، ورفعت حاجبيها، وابتسمت.

ـ لست أدري حقاً. لقد طبعنا مئتي دعوة، ولا زال هناك البعض في العلبة. في الواقع، لا فكرة عندي عن العدد الذي سيبقى في النهاية.

ضحكت مايسي:

ـ حسن جداً.. سأرى ما سأفعل، وحين أنتهي سأعرف العدد النهائي.

ـ شكراً لك مايسي.. سيرتاح بالي حقاً حين أرسلها بالبريد، مارتا محقة فيما قالته هذا الصباح. أنا أميل حقاً لإهمال الأمور وأسرع في آخر لحظة.. أكره التفكير ماذا سأفعل يوم عرسي!

لوحدها، وضعت ورقة في الآلة، تنمرن قليلاً لتعتاد على الآلة غير المألوفة لها، قبل أن تبدأ بطبع المغلفات الفاخرة.

بعد ساعة ونصف كان يتكدس أمامها عمل منتهي، لكن كان يوجد المزيد، وبدأت تفكر أنها قد لا تتمكن من إنهائها بعد ظهر اليوم.. فمع أنها معتادة على الطابعات الاليكترونية إلا أنها لم تكن من الطراز الذي كانت تستخدمه، وكان عليها كذلك أن تتوقف أحياناً محتارة في تفسير خط سوزان، عدا واقع أن الشمس وهي تهبط إلى المغيب، كانت تصب أشعتها على ذلك الجزء من الغرفة الذي تجلس فيه.. ليصبح الجو في المكتب حاراً جداً، وفتحت النوافذ الأخرى سعياً وراء ارتياح ولو قليل من الأشعة الحارقة.

وفجأة انفتح باب المكتب ودخل جايستن، يرتدي الجينز والقميص الأزرق الشاحب، بخطوات واسعة.. وبرؤيته لها تجلس خلف طاولة السكرتاريا، توقف، ومرر يده بخشونة عبر شعره الأسود الكثيف.. وقال:

ـ يا إلهي! ماذا تحاولين أن تفعلي؟ أن تقلبي المكان إلى «صونا»؟

رفعت عينيها عن المغلف الذي كانت تطبعه ونظرت إليه.. ما المفترض أنها فعلت الآن؟ حسب علمها الشمس تقوم بهذا دون مساعدة منها.

تحرك جايستن خلف طاولته، وأقفل النافذتين، ثم تقدم إلى لوحة جميلة على الجدار حيث فتح فجوة في خشبه، ليدير زراً، ويعيد اللوح مكانه.. وسألها وهو يضع أصابعه على خصره:

ـ لماذا لم تديري المكيف؟

غضبت مايسي.. الآن يقول لي؟ بعد اختناقي طوال الوقت في الحر الشديد! ونظرت إليه بتمرد وقالت بسخرية:

ـ لو عرفت بوجوده، لفعلت هذا سيد غراهام!

ـ ولماذا تظنين سبب وجود هذه الأزرار في ألواح الخشب؟

بدأت نسمات الهواء البارد تملأ الغرفة، لتساعد على تخفيف حرارة مايسي، ونظرت إليه نظرة ساخرة تماثل نظرته.

ـ بقدر ما قد يدهشك هذا سيد غراهام، جئت إلى هنا لأنهي عملاً لسوزان.. وليس لأتفحص اللوحات والأشياء الأخرى! لم يخطر ببالي أن أفتش هناك لأرى إذا كانت الغرفة مكيفة.. إضافة إلى هذا، حين يكون المكان مكيفاً تبقى النوافذ مقفلة.

ـ هذا في المكاتب الكبيرة والأبنية الضخمة. هنا في الصباح وقت البرودة، أحب أن أفتح النوافذ.

بابتسامة سخرية استدارت مايسي إلى عملها تتمتم:

ـ كم أن هذا مناسب لك!

ـ مايسي!

جاءتها الكلمة عميقة ناعمة، لكن فيها تحذير فولاذي أرسل رعدة مثلجة إلى ظهر مايسي، مع أنها بثبات، رفضت أن تنظر إليه، وركزت عينيها على المغلف في الآلة الطابعة.. وأكمل:

ـ لا تجربي صبري كثيراً، وإلا ستجدين النتيجة أكبر من أن تتحمليها!.

نظرت إليه عاصفة! لا تجربي صبره! ماذا عن تجربته هو لصبرها! كانت تود أن تتابع المعارضة، لكنها لاحظت الابتسامة المترقبة تتلاعب على فمه، ونظرة التحدي في عينيه الرماديتين الداكنتين، مما جعل قلبها تتسارع دقاته وهو يستند إلى الخلف، واثق من نفسه، ويداه على مؤخرة رأسه.

بشكل غريب تلاشت عدائيتها، وتمتمت بلهجة مكبوتة ظاهرة:

ـ حاضر سيد غراهام.

تحرك جايستن إلى الأمام في مقعده، ليسند ساعديه على الطاولة وقال:

ـ و.. مايسي..

انتظر إلى أن رفعت نظرها إليه، ثم ضحك بصوت عميق جذاب:

ـ من الأفضل أن تناديني جايستن.. فلا أريد أن يتضح للجميع أننا

على عداء.. فقد يثير هذا تساؤلات كلانا يفضل أن تبقى دون رد..

ردت عبر أسنانها:

ـ إذا كان هذا ما تريد.. سيد غراهام.

أوه.. طبعاً.. لا يريد أن يعرف الجميع أنه حاقد عليها.. فقد يفسد هذا صورته التي بناها بكل دقة، عن السحر الذي يبديه لبقية أفراد موظفيه من الإناث.

ـ مايسي؟

التمعت عيناها، ووقعتا أسيرة تسامح في عينيه، تكره ثقته بنفسه، بينما تحس بحيرة مرتجفة، وأفكار غير متناسقة.. كان واضحاً أنه لا ينوي تركها تتحدى سلطته، لكن مشاعرها الصاخبة لم تكن مستعدة لتقبل سيطرته الرجولية..

ـ مايسي!

حين لفظها مرة أخرى، كان في صوته أكثر من لهجة أمر، لكن نفس الابتسامة الكسولة كانت تلوي شفتيه.. ومع أنها حاولت أن تتغلب على نظرته بنظرة مماثلة، فإنها في النهاية، اضطرت إلى إخفاض عينيها وقالت موافقة بصوت مهزوم أجش:

ـ أجل.. جايستن.

ـ عظيم.. والآن لنرى..

بدأ التفتيش في كومة أوراق أمامه، مقاطعاً طباعة مايسي بقوله:

ـ ألديك الكثير من العمل لسوزان؟

ـ المغلفات لدعوة حفلتها فقط.

ـ جيد. إذن سأكلفك بتسجيل بعض الملاحظات، ثم ربما أستطيع أخيراً تحريك كل هذا العمل.

واضح أن جايستن لم يكن يعرف عدد المغلفات، وإلا لأدرك كم أنجزت وكم تبقى لديها. للحظات فكرت أن تقول له كم بقي عليها أن تنجز من عمل لشقيقته. لكنها فكرت مرة أخرى، لتقرر أن لا تفعل..

فعلى أي حال، هو من يدفع أجرها، وليس سوزان. وكما علموه دائماً، منذ أيام الكلية، فرسائل الشركة لها الأفضلية على الرسائل الخاصة، هكذا أخذت دفتر الملاحظات من الدرج والتقطت قلماً، ثم جلست على نفس المقعد الذي جلست عليه خلال تلك المقابلة المشؤومة التي ترجو أن لا تتكرر.

للساعة التالية بقي جايستن يرسل دفقاً مستمراً من الإملاء يملأ صفحة وراء صفحة من دفتر الملاحظات. حين استند أخيراً إلى مؤخرة مقعده، يبدو عليه الرضى بالكمية التي أنجزت، كانت مايسي تتخوف من طرح السؤال السكرتيري المعتاد:

ـ أتريد إنجازها بعد الظهر؟

ـ إذا أمكن، أرجوك مايسي.

ووقف ليتقدم نحوها. ينظر إلى رأسها المنخفض، ويكمل:

ـ أنا مضطر للخروج الآن. أتركيها على الطاولة حين تنتهي، لأوقعها إما اليوم، أو في وقت مبكر من صباح الغد.. ثم يأخذها سام الصغير معه حين يذهب إلى البلدة.

هزّت مايسي رأسها بصمت، وشاهدت ساقيه الطويلتين تتحركان من أمام نظرها وهو يتوجه نحو الباب، وهي تطلق تنهيدة إحباط عميقة.. كيف ستتمكن من إنجاز العملين معاً؟ أوه.. إنها غلطتها أنها لم تذكر له كمية المغلفات التي لا زالت أمامها لسوزان.. لكن إذا لم يقاطعها أحد بعد، فقد تستطيع إنهاء نسبة كبيرة لكليهما.

كانت الشمس قد بدأت تنخفض لتصبح كرة نار ضخمة ذائبة والظلال في المكتب بدأت تتحول إلى اللون الليلكي، قبل أن تكمل مايسي أخيراً آخر رسائل جايستن، وتضعها في كومة مرتبة وسط طاولته، ثم تضيء النور، وتأخذ سيكارة من درجها، تشعلها، وتذهب لتقف أمام النافذة تتطلع إلى الظلمة التي تتزايد في الخارج، تربح ساقيها وظهرها.. لم تكن في هذه الأيام معتادة على الجلوس في وضع

واحد لمدة طويلة.. ثم أطفأت سيكارتها وعادت إلى طاولتها، تجر علبة مغلفات سوزان إليها لتبدأ من جديد.

أضافت فقط عشرة مغلفات إلى المجموعة المتزايدة حين انفتح الباب بعنف ووقف جايستن في المدخل ويده على المقبض. كان واضحاً أنه استحم وغيّر ملابسه منذ رأته آخر مرة، فشعره مبلل متجعد، ويرتدي بنطلوناً بنياً ضيقاً وقميص حريري قصير الأكمام مماثل اللون.. لكنه كان كذلك جايستن الكابح لغضبه بصعوبة.. فقد قال بغضب:

ـ ما الذي تحاولين لعبه الآن مايسي؟

اتسعت عينا مايسي بقلق. ماذا الآن؟ هل ستواجه دائماً أسئلة غامضة ما إن يتقابلا؟ إنه ينتظر ردها بنفاذ صبر، ودفاعاً عن نفسها، لجأت إلى السخرية:

ـ ظننت نفسي ألعب دور السكرتيرة المكتملة الضمير. على أي حال، ومن النظرة على وجهك، أعتقد أنني على وشك أن يقال لي إنني كنت أعمل بسوء فهم.. فماذا من المفترض أن أكون قد فعلت الآن؟

حدقت به ثائرة وعيناها تتطايران شرراً..

أغلق جايستن الباب بعنف، وتقدم يقف أمام طاولتها. يسند راحتيه على سطحها، وينحني نحوها، يهز رأسه.

ـ لا تجربي حظك كثيراً مايسي! فلست في مزاج لتحملك! منذ نصف ساعة وسوزان ومارتا تنهماني باستعبادك بإعطائك الكثير من العمل حتى أنك لم تجدي الوقت لتناول شاي بعد الظهر. ولا يبدو أنك قادمة للعشاء.. خاصة وأمامك دعوات سوزان لتطبعيها.. فهل تسمحين بإخباري لماذا لم تخبريني بهذا الواقع؟

فكرة دفاع سوزان ومارتا عنها في وجه جايستن جاءت بابتسامة خفيفة إلى شفتيها.. وأجابت دون مبالاة:

ـ لم تسألني.

لا البسمة، ولا الرد أعجباه. فقد اقترب منها أكثر إلى أن استطاعت رؤية ناظريه السوداوين في عينيه الرماديتين الصافيتين، برموشهما السوداء، والتجاعيد الدقيقة حولهما التي تسببها الساعات الطويلة من الوقوف في الشمس الساطعة.

كذلك استطاعت أن ترى بوضوح الغيظ الحاد داخل عينيه وهو يقول:

- لست مضطراً لأن أسألك! فلديك لسان! وهذا ما لم تترددي في استخدامه حتى الآن!

قربه منها، كان له تأثير غريب على أحاسيسها. فقد أخذت نبضاتها تتسارع، وأنفاسها تصبح قصيرة خفيفة.. بانزعاج لأنها تركته يؤثر عليها إلى هذا المدى، تراجعت إلى الوراء في كرسيها، رفعت رأسها عالياً، ترد النظر بنظرة مماثلة.. وتقول ببرود:

- أنا لست خائفة من استخدامه مرة أخرى لو لزم الأمر.. ولمعلوماتك فقط، وحسب دراستي، فكرت أنك أنت من يدفع راتبي، وأنت لك الأولوية في خدماتي.. أترى، جايستن غراهام، لدي بعض المبادىء، مع أن هذا قد يبدو غريباً لك!

أحست أنها قريبة جداً من الدموع، فأبعدت نظرها تنظر إلى طاولتها، ترمش بقوة كي تبقى الدموع بعيدة عنها وتابعت تتمتم بخشونة:

- لكن، من الواضح أن هذا كان خطأ كذلك!

أفلتت ضحكة قصيرة من جايستن وقال بسخرية:

- مبادىء؟ أنت؟ إذا ظننت أنك قادرة على خداعي بالتظاهر أنك موظفة مخلصة، فأنت مخطئة جداً مايسي.. لقد قابلت الكثير من الفتيات اللواتي أتين بنية اصطياد زوج.

تكورت قبضتاها بعنف لكلماته المنتقصة من قدر النساء، ورغبت في أن ترد عليه بمثلها، لكنها كانت مشغولة جداً في منع الدموع الخائنة

من الانفلات وإذلالها.. لن تمنحه فرصة لتهنئة نفسه في دفعها للبكاء.

ضاقت عيناه مفكراً وهو يراقب رأسها المنحني أمامه، ورموشها المقوسة فوق خدود زهرية كريمية البشرة، وأسنان لؤلؤية تعض شفتها السفلى.. استقام ومرر يده على مؤخرة عنقه متوتراً.. ثم تنهد:

- لقد قلت لك إن لا حاجة لإنهاء الرسائل اليوم إذا لم يكن هذا ممكناً.

رفعت إليه عينين لامعتين وقالت مؤنبة:

- أمن المفترض أن يكون كلامك هذا اعتذاراً؟

- اعتذار؟ لماذا؟

- لتصرفك غير المبرر.

لكن، واضح أنه لم يكن يعتذر

- التصرف الذي أتصرفه معك، أنت تأتين به لنفسك أي شخص له مثل منظرك لا يستحق أفضل من هذا! وحسبما أرى أنت فتاة خليعة بطبيعتك!

ردت بشراسة دون تفكير:

- سأجعلك تندم على هذا جايستن غراهام.

ثم شهقت، حين مال جايستن عبر الطاولة وأمسك أحد معصميها وأخرجها من الكرسي، ومن وراء الطاولة إلى أن أوقفها إلى جانبه.. يده الثانية تستقر في شعرها وترجع رأسها إلى الوراء بشكل مؤلم.

- أيتها...

تدحرجت دمعتان على خدها، فارتسمت بسمة رثاء على فمه:

- ألن تتوقفي عن مضايقتي؟ إنها معركة غير متكافئة، وتعرفين هذا.. يداي متشوقتان لصنع جلدك الجميل منذ وقعت عيناي عليك.. وفي أحد الأيام ستجبرين على فعل هذا.

ردت بغضب مشتعل:

- لن تجرؤ أبداً! وإلا لن أكلمك بعد اليوم!

خرج هذا التهديد الطفولي منها قبل أن تستطيع منعه.. فنظر إليها ضاحكاً، وأمسك وجهها بين يديه الدافئتين ليسأل متكاسلاً:

ـ هل هذا وعد؟

لم تستطع سوى أن تحدق به دون كلام.. النظرة في عينيه، وملمس يديه على بشرتها، كان لها تأثير غريب على توازنها، بعد أن ظنت، وللحظة واحدة، أنه سيحني رأسه ليعانقها.. إلى أي حد من السخافة يمكن أن تصل؟ ربما تحس بخفة رأسها لحاجتها إلى الطعام.. قررت بقوة، الابتعاد عن أصابعه التي تفقدها توازنها.. لا شك أنها تتخيل الأشياء. خاصة وهي تعرف ما يظن بها! هزت رأسها بارتباك، لا تزال دون كلام، رداً على السؤال الضاحك في عينيه.. ولأول مرة في حياتها كانت غير قادرة على الكلام تماماً.

عاد إلى عدم اكتراثه البارد، وأمسك بمعصمها مجدداً، لكن هذه المرة بخفة أكثر، وبدأ يجرها خلفه نحو الباب، يعلق بمرح جاف:

ـ أنا مندهش لماذا لم تأتِ سوزان ومارتا لرؤية ما يؤخرك.. من الأفضل أن تذهبي إلى غرفة الطعام وتتناولي العشاء، وإلا لن تستأهل حياتي أن أعيشها لما تبقى من المساء.

سار بسرعة عبر الممر، متحدثاً مرة أخرى، وكأنما لنفسه:

ـ كنت أعرف أنك ستسببين لي المتاعب.

التفت من فوق كتفه إلى حيث كانت تسير خلفه:

ـ هل لديك أسلاف كانوا في هذه المنطقة؟

لكنه استدار عنها مجدداً قبل أن ترد، ولم يشاهد رأسها يهتز إيجاباً.. ودخل بها غرفة الطعام.

واضح أنه لن يترك لها فرصة غسل يديها، وتغيير ثيابها، وترتيب نفسها، هكذا مدت يدها إلى خصلات شعر متدلية على جبهتها بيد مرتجفة قليلاً، وأرجعتها إلى الوراء، ثم أنزلت قميصها إلى الأسفل فوق خصرها، قبل أن تلتقي بالنظرة المشتركة للمرأتين الجالستين وراء

الطاولة.

لا شك أنهما كانتا تدركان حاجتها لتخليص معصمها المحمر قليلاً من قبضته القوية، ولم يكن أمامها شيء تفعله لإخفاء لمعان الدموع من عينيها التي لا تزال عالقة، حين جلست في مكانها على المائدة.. لكنها أجبرت نفسها على الابتسام والاعتذار لسوزان بصوت هادىء قدر استطاعتها:

ـ آسفة لأنني لم أنهِ بعد رسائلك، لكنني سأنهيها هذا المساء.. لن تأخذ وقتاً طويلاً.

ابتسمت سوزان، وكانت على وشك أن تتكلم، لكن مارتا قاطعتها، آمرة باختصار:

ـ لا.. لن تفعلي. أنت مرافقتي قبل كل شيء، ثم سكرتيرة. لم أستخدمك كي أستعبدك في كل ساعات يقظتك في مكتب جايستن، بإمكانك إنهاء دعوات سوزان غداً.. كان يجب أن تنهيها هي بنفسها على أي حال.

ابتسمت ابتسامة لاذعة لسوزان، لكن كلامها لم يؤثر أبداً على جايستن، لأنه رد عليه بضحكة متساهلة.

واضح أن الحفيدين يعرفان مارتا جيداً، إذ لم يضطرب أحد منهما من نظراتها أو كلامها.. كشرت سوزان وجهها ضاحكة، وغمزت لشقيقها ومايسي معاً، بينما تابع جايستن الابتسام، وسألها:

ـ ماذا تخططين لهذا المساء حتى يكون من الضروري أن تبقي مايسي إلى جانبك؟

قالت بابتسامة رضى عن نفسها:

ـ أريد التفرج على التلفزيون.

ارتفع أحد حاجبي جايستن بتساؤل:

ـ تحتاجين مايسي إلى جانبك لأجل هذا؟

ردت بغموض، دون أن تلزم نفسها:

ـ ربما.. وربما لا. لكن من نظرتي إلى وجهها حين دخلت، أستطيع القول إنها اكتفت من صحبتك ليوم واحد.. وبما أنك، دون شك، ستقضي بقية الأمسية في مكتبك، كما تفعل كل ليلة، فكرت أن من الأفضل أن تبقى مايسي معي.

خوفاً من أن تصبح موضوع نقاش عام، وخوفاً من سماع ما سيقوله جايستن عنها، أخفضت مايسي نظرها إلى طبقها، تتلاعب بالطعام ساهمة، بينما تحس بالاحمرار الخائف يرتفع مرة أخرى إلى وجهها.. وسمعت صوت جايستن يقول:

ـ ربما تفضل مايسي أن تفعل شيئاً غير مشاهدة التلفزيون

ارتفعت عينا مايسي فوراً، تنظر إليه بقلق، وتسارع إلى التأكيد:

ـ لا.. لا.. لا شيء غيره أريد أن أفعله.

ـ لن ترى جون الليلة؟

كان على وجهه نظرة ساخرة، لاحظتها وأدركت أنها موضوع نظرات اهتمام من مارتا وسوزان، وكررت بجفاء:

ـ لا! هل هناك سبب يدعو أن أراه؟

ارتفعت كتفاه بدلالة واضحة لمايسي.. بالنسبة له إنها من النوع الذي ما إن تلتقط اهتمام رجل، لا تتركه أبداً.. وهذا بعيد جداً عن الحقيقة.. لكن مايسي كانت محتارة كيف تدافع عن نفسها.. ولم تنتبه للحيرة المؤلمة الظاهرة في عينيها، وهي تنقل نظرها إلى الأخريتين في الغرفة.. ولحسن الحظ أنقذتها مارتا بلهجة آمرة:

ـ توقف عن مهاجمة الفتاة جايستن.. إنها ليست خبيرة بما يكفي لتبادل مثل هذا الكلام معك.

ـ هذا بالضبط ما أقوله دائماً لها.. لكنها تبدو.. رافضة لسماع نصيحتي.. ربما استطعت إقناعها بحكمة الاستماع إلى النصيحة..

وبَخت سوزان شقيقها بمرح:

ـ لا تكن ساخراً هكذا جايستن.. وإلا ستكون مستعدة لتقديم

استقالتها قبل انقضاء الأسبوع.

تمتم:

ـ أوه.. لا أظن هذا.

مما دعا شقيقته وجدته إلى النظر إليه بحيرة، لكن نظرته كانت متشابكة مع نظرة مايسي، وأحد أطراف فمه يرتفع سخرية. رفضت مايسي الرد على تلك الابتسامة.. كانت تعلم أنه يذكر العقد الذي وقعته باستعجال، وبإمكانها الإحساس بالمتعة التي لا بد أنه يحسها، لوجودها في موقف لا مجال للهرب من تهجماته الخبيثة.. ورفعت ذقنها في وجهه دون احترام، تعابير وجهها تقول له بوضوح، إنها لا تعتبر نفسها بعد مهزومة.. فهي لا تملك هذا اللون في شعرها للاشيء.. لكنها أحست بالتوتر لسماعه يضحك بصوت منخفض قبل أن تدخل لودي لتأخذ الأطباق الفارغة.

بقية الوجبة تمت بهدوء، مع أن مايسي لم تشارك في أي حديث.. لكنها في النهاية لم تأكل الكثير.

هكذا رافقت مارتا بارتياح خارج غرفة الطعام، تاركة جايستن يتابع عمله المكتبي، وسوزان لتتصل بكاري.. وجلستا بارتياح في ما تسميه مارتا «غرفة العائلة».. وهي الغرفة الوحيدة في المنزل المعزولة بعيداً، لاستخدام العائلة وليس للضيوف.

بعد وقت قصير، دخلت لودي تحمل صينية مليئة بطقم قهوة فضي لماع، وطبق صغير من حلوى النعناع. بعد خروجها، صبت مايسي القهوة، وأشارت مارتا إلى الحلوى.

ـ تناولي منها.. فلودي تصنّعها بنفسها، وأنصحك بها.. بعد العشاء القهوة غير لذيذة دونها.

لكن مايسي كانت لا تزال غير قادرة على أكل شيء، ولترضي مارتا، ذاقت قطعة، وكان عليها أن تعترف بأنها لذيذة.. لكن أفكارها كانت بعيدة.. ففي وقت كانت تظن أنها ستعجب حقاً بفكرة العمل

لمارتا.. فهي الآن قلقة بعمق حول قدرتها على تحمل تهجمات جايستن، ولذاعة تعليقاته للثلاثة أشهر القادمة.. لدى توقيعها على العقد لم تبدُ لها المدة طويلة، لكن مع مرور يوم واحد، أصبحت تشك في قدرتها على تحمل ما تبقى من أيام.. تنهدت دون وعي، تحرك قهوتها للمرة الثالثة.. لو أن جايستن يتركها تشرح موقفها له!

لم تدرك مايسي أن مارتا كانت تراقب النظرات القلقة على وجهها إلى أن تكلمت.

ـ لا تقلقي كثيراً لما يقوله جايستن.. دعيني فقط أعرف ما إذا أصبح متسلطاً أكثر من اللازم، وسأوبخه.

راع مايسي مجرد التفكير بالمتاعب التي سيسببها هذا، فاحتجت:

ـ أوه.. لا.. مارتا، أرجوك لا تفعلي هذا.. أستطيع تدبر أمري معه.. لا يهمني في الواقع رأيه بي.. ولا أحب أن أكون سبباً لأية متاعب بينكما.

مالت مارتا بدهشة تربت يد مايسي:

ـ باركك الله يا طفلتي.. أستطيع السيطرة على حفيدي، لكنني أعترف طبعاً أنه قادر على السيطرة عليّ.. آل غراهام ما كانوا يوماً ممن يحملون ضغينة.. بإمكانك الوثوق دائماً أنك لو تجادلت معه، مهما كان الجدال قاسياً، فلن يحقد عليك.

أحست مايسي أنها مضطرة لتجيب:

ـ لكن ما يجري بيننا ليس بالجدال.. إنه يرفض أن يصدق أنني لست كما يدلني.. ولست أدري كيف أقنعه.

ذكرتها بخبث:

ـ ظننتك قلت إنك لا تهتمين بما يظنه بك.

أحنت مايسي كتفيها:

ـ أظن أننا جميعاً نحب أن يظن الجميع الأفضل بنا.. فليس من السائغ العمل مع شخص يعتبرك تقدمت إلى عملك بادعاء زائف.

التفتت مارتا مجدداً إلى الشاشة، وقالت:

ـ أعطه الوقت مايسي.. فهو رجل أعمال جيد، لكنه لا يستطيع حل هذه المعضلة بنفسه.. وبالطبع هناك مشاكل تنتج عادة عن اعتقاده أنه لا يخطىء في تقييم الشخصيات.

لم تستطع مايسي إخفاء خيبة أملها عن صوتها:

ـ أوتظنين أنه محق أيضاً؟

ردت مارتا بحدة، منزعجة من تفسير كلامها هكذا:

ـ لم أقل هذا! ولا تجلسي هكذا طوال الليل بوجه متجهم.. وإلا.. سأشد أذنيك! قلت لك بالأمس، أنا لا أحب الوجوه المتجهمة من حولي!..

بعينين متسعتين لتوبيخ مارتا، لم تجد مايسي صعوبة تذكر في تصور المستعمر الأول من أسرة غراهام، يبدي نفس الرغبة أمام خدمه في الأيام الخوالي.. وبدا لها الموقف كله فجأة مضحكاً، حتى أنها ضحكت.. فقالت مارتا برضى:

ـ هكذا أفضل.. إذا استخدمت هذه البسمة الفاتنة على جايستن، فلربما تجدينه أكثر إذعاناً لتفسيرك.. لماذا إصرار فتيات اليوم على المساواة ومحاولة هزم الرجل في مجاله الخاص، لست أدري.. كنا زمناً، نشغل نفسنا في أمور أكثر أهمية، وأكثر استساغة، لنجلب رجالنا إلى وجهة نظرنا.. إذا كن رجلاً بمعنى الكلمة لن يدع فتاة صغيرة، تشابك قرونها بقرونه.. وتكسب! و.. إذا كنت صادقة مع نفسك، ستعترفين أنك لن ترغبي في رجل يمكنك هزمه، على أي حال!

ضحكت مايسي:

ـ لا أستطيع القول إنني أوافقك الرأي، خاصة فيما يتعلق بجايستن.. فإذا بدأت فجأة ابتسم له بحلاوة، سيظن أنني أسعى وراء ماله.

ـ من يسعى وراء مال من؟

دخلت سوزان الغرفة تسأل، وعيناها تلمعان.. قالت مارتا تشرح لها:

ـ جايستن يظن أن مايسي جاءت إلى هنا بفكرة أن تجد لنفسها زوجاً ثرياً.

صاحت سوزان راضية عن نفسها:

ـ آهه.. ! هذا إذن ما كان يلمح له في غرفة الطعام.. تساءلت عما يجري.. وكيف توصل إلى هذه الفكرة؟

ـ لأنني قلت ممازحة إن هذا سبب مجيئي إلى هنا حين التقيت الرجال في الفندق يوم السبت الماضي.. وسمعني.

ـ غريب.. ليس من عادة جايستن أن لا يتمكن من فهم المزاح كما هو.. أواثقة أن هذا كل شيء؟

أن يكون هناك سبب أبعد مما ذكره جايستن، لم يخطر ببال مايسي.. ونظرت إلى سوزان بارتباك، وقالت ممازحة:

ـ لا تقولي لي إن هناك المزيد.. ! ماذا يمكن أن أكون قد فعلت غير هذا؟ فأنا لم أكلمه حتى يوم المقابلة.

ـ أوه.. ربما أمضى مع آيمي وقتاً عصيباً، وهذا يعني أن مزاحك لم يقع في نفسه موقعاً حسناً.. وهذا ما لا يدهشني، فآيمي مورتون تسبب المتاعب لأي كان.. وهذه فتاة تتزوج لأجل الامتلاك.. ولست أدري كيف يتحملها جايستن! أتمنى لو يبعدها عنه.

قالت مارتا بحدة:

ـ هذا يكفي سوزان، أسرة مورتون أصدقاء لنا للعديد من السنوات.. ولطالما رحبنا بهم كضيوف هنا، وتعرفين هذا!

رفعت سوزان عينيها إلى السماء:

ـ وكيف! أوه.. أهلها لا بأس بهم. لكن آيمي وشقيقها على النقيض تماماً.. وإذا لم يكن جايستن حذراً ستنجح في إغوائه للزواج

منها.. وهذا أمر تسعى إليه منذ سنوات. ساعتها سيرى ألوانها الحقيقية!

رفعت إصبعها في وجه مايسي:

ـ أحذرك.. وانتبهي من آيمي مورتون حين يكون جايستن هنا.. لأنها مثل الحرباء، تتقلب في شخصيتها بما يتناسب مع ما يحيط بها.

قاطعتها مارتا مجدداً، وبحدة أكبر تنظر إليها مؤنبة:

ـ سوزان! لا أرى مايسي مهتمة بوجهة نظرك في مساوىء «آيمي».. ولا أظن من الصواب الحديث عنها في غيابها بهذه الطريقة.

ردت سوزان:

ـ لكن، مارتا، يجب أن تعترفي أن هذه هي الحقيقة.. ولا يمكنك السماح بأن تصطدم مايسي بها دون أن تكون متحضرة.. ما أعني قوله، ألا تتصورين ردة فعل آيمي حين تجد فتاة بجمال مايسي، تعيش تحت سقف واحد مع جايستن؟

ذهلت مايسي، ولم تمانع في إظهار هذا:

ـ أنا؟ وما دخلي في هذا؟ جايستن وأنا لا نتمكن حتى من حديث عادي مع بعضنا.

بضحكة مرح، علقت سوزان ضاحكة:

ـ لا تحطي من قدر نفسك! آيمي ليست عمياء.. وتعرف تماماً أن جايستن ليس أعمى بدوره! الشيء الوحيد الذي آسف عليه، هو أنني لن أكون هنا لأرى وجهها حين تكتشف كم هي صغيرة شابة، مرافقة مارتا!

قالت مارتا ساخطة:

ـ لا تتكلمي بهذا الهراء سوزان! قد لا تكون آيمي كاملة، لكن لا يوجد أحد منا كامل. إنها فتاة مهذبة عاقلة، ولن أسمح لك بانتقادها بهذه الطريقة.. أتسمعين؟

نظرت سوزان جانباً إلى مايسي، وتمتمت بلهجة مناسبة لجدتها:

ـ أجل مارتا.. سمعتك، وأوافق الرأي معك.. آيمي مهذبة عاقلة.. حين يناسبها هذا.

فهمت مارتا من كلام حفيدتها أنها لا تؤثر عليها بما يكفي، فحاولت تغيير الموضوع:

ـ فهمت منك أنك أقنعت جايستن أن يطير بك إلى بريزبن يوم الأربعاء، أليس كذلك؟

ـ الإكراه كلمة أفضل من الإقناع، كما أعتقد، كان متردداً جداً في ترك الأملاك.. لكنه انتقم مني بأن أخبرني أنه سيطير في السابعة صباحاً.. وأسألك، ما هو هذا الوقت المبكر للسفر؟ أنا عادة لا أستيقظ عند السابعة.

ـ كما يعرفك جايستن تماماً.. ربما تكون هذه طريقته ليتأكد من جهوزك في وقت لائق، بدلاً من إبقاءه منتظراً لساعة أو أكثر، كما تفعلين عادة.

ضحكت سوزان:

ـ هذا ممكن.. لكنني لن أجادله بالأمر.. فأنا مسرورة لقبوله أن يأخذني، فما كنت أظنه سيفعل.

في العاشرة، أوصلت مايسي مارتا إلى غرفتها ثم أسرعت عبر الرواق إلى غرفة جوليا، تنوي بحث ما حصل معهما اليوم. لكن جوليا لم تكن هناك. بعد أن عادت ببطء إلى غرفتها، لاحظت مذكرة صغيرة على طاولة زينتها.. وكما خمنت، كانت من جوليا، تقول إنها انتظرت إلى الثامنة والنصف، ثم جاء غاي وخرجا معاً، وتأمل أن لا تمانع مايسي.

تلاعبت ابتسامة بأطراف فمها.. لماذا تمانع؟ غاي يبدو لطيفاً جداً، وجوليا كبيرة بما يكفي لتعتني بنفسها.. ثم لا يمكنها أن تتوقع من صديقتها الجلوس كل مساء على أمل ضئيل بأن تصل باكرة.

نظرت مايسي إلى الساعة التي تلف ساعدها الأيسر وتنهدت: لا

زال الوقت مبكراً للنوم، ولا تحس بالاستعداد له.. هكذا بعد إشعال سيكارة، فتحت باب الشرفة، وتقدمت لتستند على السياج الحديدي الجميل الزخرفة.. من خلال الأوراق الكثيفة للأشجار المحيطة، استطاعت أن ترى بصعوبة الأنوار تتلألأ من بعض منازل العمال.. كان هناك نسيم خفيف يهب، ويحرك خصلات شعرها، والقمر الأصفر الذهبي، سمح لها بالرؤية إلى البعيد حيث قطعان «سانتا جيرتردوس» التي يملكها آل غراهام.

مع تنهيدة عميقة، استدارت إلى غرفتها، ثم اتجهت إلى الباب، إنها واثقة أن مارتا لن تمانع لو استعارت كتاباً من المكتبة، لربما ستتمكن من أن تجد ولو ذكراً واحداً لسلفها، وتسارعت خطواتها للفكرة.. كانت تعرف أن الكثير من الرواد الأوائل، احتفظوا بمذكرات يومية، وسجل بالرواتب والطعام المسلم وما إلى ذلك.. في مكتبة كهذه، ليس من الكثير توقع أن عائلة غراهام لا تزال تحتفظ ببعض السجلات الأصلية.

مع هذه الفكرة في تفكيرها، وابتسامة رضى على وجهها، فتحت باب المكتبة، ووقفت جامدة دون حراك، ليحل مكان ابتسامتها نظرة قلق وارتباك لرؤيتها جايستن يجلس على الأريكة وساقاه ممددتان أمامه بارتياح، وكتاب جلدي الغلاف في يده.

مع علمها أنها محمّرة الوجه أمام نظرته المتسائلة قالت: آسفة.

واستدارت على أعقابها لتقفل الباب ثانية خلفها.

ظنت أنها سمعته يناديها، بخطوات متسارعة عادت إلى السلم.. لكن، ما إن وضعت قدماً واحدة على أوله، حتى أحست بذراعها تعلق بقبضة ثابتة أدارتها لتواجه جايستن الذي لم يكن مستعداً لتركها بسهولة.. أحست بعضلات ساقيها ترتجف، وتمنت من كل قلبها لو تستطيع الابتعاد والجلوس على السلم ولو لبضع أقدام بعيداً عنه.. بدلاً من ذلك، نظرت إلى اليد التي تمسك بها، ثم نظرت إلى الرجل

بترفع.

واضح أن جايستن لم يكن ينوي أن يتركها.. وسرعان ما تغلبت عيناه على عينيها فأخفضتهما.. ثم ضحك بصوت منخفض:

ـ حسناً.. ماذا كنت تريدين؟ ليس أنا، فهذا واضح.

رفضت مايسي النظر إليه، وتمتمت بلهجة متحدية: لا شيء.

رفعت يده القوية ذقنها، ترجع رأسها إلى الوراء بحيث لم يعد لديها خيار سوى أن تنظر إلى عينيه الرماديتين.. وقال بابتسامة كسولة:

ـ أنت تحبين العيش مع الخطر.. أليس كذلك مايسي؟ إذا كنت تريدين كتاباً.. وأنا أعتقد أن هذا هو سبب مجيئك إلى المكتبة.. فقولي هذا.. أي كتاب تريدين؟

دفء يده على بشرتها الناعمة كان له تأثير مهدىء على مشاعرها، يجعلها تعي تماماً رجولته القوية، بطريقة لم تصدق أنها ممكنة. وبغضب من نفسها، لخضوعها بإرادتها إلى سحره، شدت رأسها من قبضته بعنف، وقالت ساخرة:

ـ وماذا يمكن لفتاة مثلي أن تقرأ غير من يكون من، والسجل الاجتماعي؟ أعني، أنني لا أرغب حقاً أن تفوتني أية فرصة قد تظهر أمامي، حين يصل ضيوفك.. فالفتاة لا يمكن أن تكون حذرة دائماً، ومن الحكمة معرفة خلفية أية ضحية متوقعة أولاً...

توقعت مايسي أن يسحقها حية بعد هذا.. لكن حين لم يظهر منه أي هجوم كلامي، نظرت إليه من تحت رموشها السوداء، لتجد أن نظرته باردة محترسة، لا تترك لها أي دليل على ما يفكر به.. ثم لوّح يده إلى الباب المفتوح.. وقال بعدم اكتراث مألوف:

ـ ضيفتي، سأحضره لك.

ما إن نفوه بهذا حتى كان يجرها خلفه إلى أن توقف أمام الرفوف اليمنى من المكتبة، وترك معصمها.. مد يده إلى رف فوق رأسها،

وأخرج كتاباً ضخماً من بين محتويات الرف، ووضعه بين يديها، فنظرت إلى الغلاف الأحمر مذعورة. ماذا ستفعل به؟ إنه ليس النوع من الكتب الذي يأخذه المرء معه إلى السرير ليتمتع به قبل النوم. وهي بكل تأكيد ليس لها رغبة في التمعن به.. لكن، عليها أن تقول شيئاً.. فمن الواضح انه يتوقع منها أن تعلق بشيء.. ابتلعت ريقها بصعوبة، قبل أن تجعل نفسها تبتسم له شاكرة:

ـ أوه.. شكراً لك. أنا مسرورة لأن لديك آخر نسخة فلا أريد أن يفوتني أحد.

وبدأت تتراجع نحو الباب:

ـ يجب أن أحضر دفتر ملاحظاتي والقلم، لأسجل الملاحظات فلن يتفعني أن أنسى الوقائع المهمة في اللحظة الحاسمة.. أليس كذلك؟

وتقدمت عبر الغرفة.. فسألها ببرود:

ـ مثل.. من يملك أكثر، ومن يساوي أكثر؟

حبست أنفاسها خوفاً، لكنها فتحت عينيها الواسعتين وقالت بدهشة مصطنعة واثقة:

ـ طبعاً! وما غير هذا؟!

وأصبحت خارج الغرفة تهرع إلى السلم قبل أن يستطيع الرد.

في حماية غرفتها، استحمت وارتدت البيجاما قبل أن تندس في الفراش المريح.. استندت إلى الوسائد، تنظر إلى الكتاب الذي تركته على طاولة السرير.. حسن جداً.. هذا هو المادة الوحيدة للقراءة المتوفرة لها الآن.. التقطته ووضعته على ركبتيها المرفوعتين.

بعد ساعة، وجفنيها ينخفضان أعادت الكتاب إلى الطاولة، وأطفأت المصباح.. هذا الكتاب يحتوي فعلاً على كمية مذهلة من المعلومات.. وغاص رأسها في عمق الوسادة. لقد تذكرت بضع أسماء من مدعوي سوزان.. بكل تأكيد ليس للسبب الذي يشك به

www.liilas.com/vb3

جايستن . . لكن الكشف الأكثر أثراً، كان يتعلق بأسرة غراهام . . فهل جايستن حقاً مدير هذا العدد الهائل من الشركات؟

لسبب ما، كانت مسرورة لأن تلاحظ أن أسرة مورتون، بالكاد لها ذكر . . وبهذه الفكرة غرقت في النوم.

* * *

٥ ـ الماضي والحاضر

قبل أن ترتدي مايسي ثيابها في الصباح التالي، جاءت جوليا تركض إلى غرفتها، وجلست على حافة السرير، بينما كانت مايسي تفتش خزانة ثيابها لتقرر ما ترتدي.

قالت جوليا مقطوعة الأنفاس:

ـ ليس لدي وقت، فأنا مضطرة للنزول بعد دقيقة . . لكنني أردت الحديث معك، ورؤية كيف تسير الأمور.

فراشة المحبة

أخذت مايسي بنطلوناً وارتدته ثم قالت:

ـ هكذا وهكذا . . مارتا طيبة، لكن جايستن . . إنه شيء آخر . . لقد تجرأ على التهديد بضربي على مؤخرتي . . بالأمس!

ـ ماذا؟ أوه . . لا لم يفعل.

واستلقت على ظهرها فوق السرير تضحك وتقول:

ـ هذا شيء أحب أن أراه . . إنه لا يعرف من يواجه.

ـ الأمر سهل عليك . . لكن حسب حجمه، قد أقول إن له ضربة لئيمة!

جلست جوليا تمسح عينيها بيديها. ثم قالت باعتذار، مع أنها لم تستطع منع نفسها عن الابتسام:

ـ آسفة لضحكي مايسي . . ماذا فعلت ليقول لك هذا؟

ـ أوه . . كنا نتشاجر كالعادة . . يبدو أن الشجار أصبح مألوفاً . . حتى أنني أرى الأمر يصل إلى درجة أن أشتاق إليه حين يأتي وقت

مغادرتنا.

تجهم وجه صديقتها فجأة:

ـ مايسي.. أنا آسفة جداً لما وصلت إليه الأمور بالنسبة لك. هل أنت واثقة أنك لن تستطيعي فسخ ذلك العقد؟

ـ ماذا؟ وأتركك تتأسفين حزناً على غاي جينكنز طوال الرحلة! لا تخافي! لقد وعدت نفسي أن أنفذ انتقام العائلة بجايستن غراهام.

حذرتها جوليا مبتسمة:

ـ تأكدي فقط أن لا يرتد عليك. والآن يجب أن أذهب وإلا سأتأخر.. أراك فيما بعد.. كما أرجو.

لا تزال تبتسم، انزلقت عن السرير واتجهت إلى الباب.. ما إن خرجت، حتى مشطت مايسي شعرها إلى أن أصبح لامعاً، ولونت فمها بأحمر شفاه زهري، ثم حملت الكتاب تحت ذراعها، نزلت بهدوء على السلم نحو المكتبة.. أعادت الكتاب مكانه، ونفضت يديها برضى..

كان الوقت لا يزال مبكراً للفطور، وقررت أن الطقس في الخارج رطب لنزهة في الحديقة، فاتجهت إلى المكتب. مع قليل من الحظ في مثل هذه الساعة، سيكون جايستن غائباً، وكلما أبكرت في مغلفات سوزان كلما أنهتها في وقت مبكر أكثر.

أصبحت الآن أكثر ألفة مع الخط اليدوي، وبدأت تتقدم بعملها سريعاً، وفيما تبقى من كومة المغلفات.. وحين عادت إلى المطبخ لتناول الفطور، كان معظمها قد انتهى.. حيتها سوزان بابتسامة، وكانتا الوحيدتين على المائدة، لتبلغ سوزان لمايسي أن جايستن تناول فطوره باكراً، وأن مارتا تتناول الفطور في الفراش.. وتشاركتا في حديث مستساغ خلال الوجبة ثم عادت مايسي إلى المكتب.

آخر المغلفات انتهى بسرعة، فسلمتها إلى سوزان المسرورة، ثم رتبت المكتب قدر استطاعتها، ووجدت الوقت الكافي أمامها، لأن

مارتا لم تنزل بعد.. سارعت إلى المكتبة مرة أخرى وأقفلت الباب ورائها.. الآن الوقت ملائم لتفتش عن سجلات العائلة.

صرفت النظر عن الرفوف إلى اليمين، وركزت على الرفوف المخبأة جزئياً وراء الباب حيث غلافات الكتب عتيقة باهتة أكثر.. معظمها مطبوع في القرن الماضي، وتغطي الكثير من المواضيع.

تقدمت أكثر على الرفوف إلى مجموعة من المذكرات القاسية الغلاف، أخذت أول كتاب منها، تقرأ الخط الرفيع على الغلاف الأمامي: مذكرات يومية، ماراندو، ١٨٢٤ ـ ١٨٢٦.

أخذت الكتاب إلى الطاولة ووضعته أمامها بحذر، وبدأت تقلبه.. كانت قراءته كالعودة في الزمن إلى الوراء.. والكتابة غير مترابطة مثل: مطاردة الماشية.. ١٧ ـ ١٨. بنفسي خرجت لكني لم أجدها.. أصلحت برميل المخاضة لأيمي.. المستنقع جاف.. مضطر لتركه حتى الليل.. مشغول طوال النهار في مساعدة وولكوت في بناء منزله..

فجأة ظهر أول ذكر لسلفها أمامها:

«ميتلاند يعتني بالماشية الهاربة.. أعطيت ميتلاند أجرته الأسبوعية: نصف ليبرة طحين، ٧ ليبرة لحم، بعض الشاي والسكر».

على حين غرة انفتح الباب ليعيد مايسي إلى القرن العشرين بسرعة، وقفزت كالمذنبة تقفل الكتاب مع دخول مارتا ببطء إلى الطاولة.. وهزت العجوز رأسها:

ـ آه.. كتاب المذكرات.. كنت نقرأين أخبار الميتلاند الآخرين، أليس كذلك؟

تمتمت مايسي:

ـ أنا.. لاحظت الاسم.

وأخذت تلعن في نفسها اللون الأحمر الغادر المتصاعد إلى خديها، دون أن تدري أتخبر مارتا بمعرفتها الكاملة بتورط الأحمر مع

عائلة غراهام أم لا. وأكملت:

ـ أحب قراءة أخبار الأوائل.

تحركت مارتا مبتعدة لتجلس على كرسيها المعتاد:

ـ لذلك الرجل «ميتلاند» شعر أحمر كذلك. وفيليستي الصغيرة كتبت في مذكراتها ذلك الوقت أن له عينين جميلتين بشكل غير طبيعي.. كانتا بلون الجاد الأخضر الصافي.

وقفت مايسي متوترة، وعادت إلى رف الكتب تقول من فوق كتفها، مع ارتجاف بسيط في صوتها:

ـ أوه.. يا إلهي.. صحيح؟ يا لها من صدفة..!

ـ وهل هي.. هو؟

أعادت مايسي الكتاب ببطء مكانه قبل أن تستدير، وتعبير حذر على وجهها:

ـ هو ماذا؟

قالت مارتا بحدة مؤكدة:

ـ مايسي! أحد الأسباب التي أعطيتك لأجلها هذه الوظيفة هو إيماني بصدقك.. فلا تعطيني سبباً لأندم على هذا القرار.. لا شيء يخجلك في أن يكون هناك محكوم في شجرة عائلتك.. بعض من أفضل العائلات هنا لها محكوم في العائلة، وكذا نحن نكون هكذا.

ارتفع ذقن مايسي قليلاً، وردت بقوة:

ـ أنا لا أخجل من هذا.. ولا يهمني ما فعل الأحمر.. أنا فقط.

صمتت، محتارة للنظرة على وجه مارتا التي هزت رأسها متسائلة:

ـ أنت ماذا؟ تعالي إلى هنا وأخبريني ماذا حصل لعائلتكم منذ تلك الأيام.. لطالما احترت في هذا.

جلست مايسي على الكرسي المنخفض تحتضن ركبتيها، وابتسمت بخشونة، تقول بخجل:

ـ ليس هناك الكثير.. أعتقد أن ماتيلدا لايدن ميتلاند تزوجت ثانية بعد سفرها إلى سيدني، ولم يغير ابنها اسم عائلته.. لكنني أعتقد أنها عبأته بالحقد على عائلة غراهام، ومن المفترض أنه نشأ على المرارة.

ـ وهذا ما لا يدهشني أبداً، حين يفكر المرء أن ماتيلدا لايدن هي التي ربته.. حتى زوجة جوستايس، الرقيقة القلب المتسامحة، كتبت في مذكراتها أنها كانت طائشة ومفتعلة مشاكل.. أوه لا.. ماتيلدا لايدن لم تكن يوماً من عائلة ميتلاند، حتى ولو ادعت هذا.. ولم تكن أم دوغلاس.. فأمه كانت إيلين داير، وهي زوجة الأحمر وأم دوغلاس، لكن لسوء الحظ ماتت الأم بعد ولادة الطفل وتولت ماتيلدا لايدن العناية به، في وقت كان فيه الأحمر في عمله طوال النهار.

على الأقل، هذا يفسر سبب رغبة فيليستي في الهرب مع رجل متزوج، لأنه لم يكن متزوجاً أبداً ذلك الوقت، لكن القصة هذه لم تفسر لماذا تركت ماتيلدا الأملاك، ولماذا حملت مسؤولية طفل لم يكن لها.. وسألت مايسي مارتا عن هذا.. فكان الرد:

ـ ماتيلدا طردت من هنا لأنها سرقت بعض مجوهرات مخدومتها وباعتها لبائع متجول كان يمر من هنا.. أما بالنسبة للطفل.. فقد أرادت فيليستي أن تربيه بعد موت الأحمر.. لكن ماتيلدا كانت توضح دائماً أنها تريد أن تكون السيدة ميتلاند الثانية، ومن المعتقد أنها أخذت الطفل نكاية بفليستي، التي تعتبرها أخذت الأحمر منها.. تعرفين أن الأحمر غرق.. أليس كذلك؟

ـ أجل، أعرف هذا، حين كان وفيليستي هاربان.. اعتقد أن عائلة غراهام لم تكن متحمسة لانضمام محكوم سابق إلى العائلة.

وضحكت مارتا التي اعترفت:

ـ معك حق. ولكن كان هناك ظروف مختلفة.. فلقد كانت هناك ترتيبات لزواج فليستي من الابن الأكبر لعائلة أخرى.. ولو أن الأملاك انضمت لأصحبا قويين فعلاً، لكن حتى بعد موت الأحمر، رفضت

فيليستي الزواج، وبقيت عزباء لما تبقى من حياتها.

فكرت مايسي: ما أروع هذا منها! لكنها ابتسمت، ولم تستطع إلا أن تقول:

ـ عدم إتمام الزواج لم يؤخر عائلة غراهام أبداً.

نظرة مارتا جعلت مايسي تتساءل ما إذا كانت قد تمادت كثيراً.. لكن العجوز عادت وابتسمت ونصحتها:

ـ لا تكوني متواقحة يا فتاة.. وإلا شددت أذنيك أيضاً..

توسلت مايسي عفو مارتا:

ـ آسفة جداً مارتا.. لكن كل هذا مختلف عما أنا معتادة عليه.

ـ وأنت تكرهين طريقة حياتك؟

سارعت للنكران:

ـ أوه.. لا! أنا سعيدة جداً بحياتي، وأشارك منزلاً رائعاً مع أبوين أحبهما جداً.. وأكسب ما يكفي من مال لأشتري معظم ما أشتهي.. لكنني عنيت.. أن هذا.. مختلف، لا أكثر!

ـ أخبريني عن أبويك.. فلا أعرف شيئاً عن عائلة ميتلاند غير ما أعرفه عنك، وهذا قليل جداً.. وأنا مهتمة بأن أعرف المزيد عن العائلة التي كان لها تأثير مقلق على عائلة غراهام..

اضطرت مايسي أن تعترف أنها مهتمة بهذا «التأثير المقلق» الذي أشارت العجوز إليه.. وقالت:

ـ مرة أخرى، ليس هناك الكثير أقوله حقاً.. والدي رئيس فرع العلوم في المدرسة الثانوية المحلية، ووالدتي.. مولودة ربة منزل. أعتقد أن هذا ما يمكن تسميتها به، فهي لا تحب شيئاً أفضل من التفكير بطرق لجعل عائلتها مرتاحة أكثر.

ـ لا أشقاء أو شقيقات؟

ـ لا.. أنا الوحيدة.. الأخيرة في هذه السلالة. بإمكانك التنفس بارتياح لعدم وجود ميتلاند آخر، يزعج هذه العائلة بطريقة أو أخرى..

ما إن أغادر أنا الأملاك.

ـ وسأتمكن من التنفس بارتياح أكثر، حين تتوقفين عن التفوه بمثل هذه التصريحات السخيفة.. اذهبي واحضري كتابي، واقرأي لي فصلاً آخراً منه. فهذا ما سيبقيك مشغولة حتى موعد الغداء.

الغداء كان معركة لا تنتهي لأعصاب مايسي بعد أن عرفت أن جايستن سيكون هناك، وانتظرت منه أن يعلق بشيء على خيارها في القراءة الليلة الماضية.. ولتتجنب هذا، أبقت عينيها على طبقها معظم الوجبة والكلمة الوحيدة التي تلفظت بها كانت «أجل أرجوك» حين سألتها سوزان ما إذا كانت تريد الملح. كان الأمر يشابه الجلوس في عرين أسد وهو ينتظر طعامه، ولم يعجبها الإحساس أبداً! فقد جعلها تفقد شهيتها، وأوصل مشاعرها إلى درجة التشوش.

حين انتهت الوجبة، وأعلنت مارتا عن نيتها الصعود لراحتها اليومية، عرضت سوزان، أمام خيبة مايسي، أن توصل جدتها إلى غرفتها، لأنها بحاجة لأن تصعد إلى غرفتها بدورها. وبأنفاس مقطوعة، سمعت جايستن يناديهما:

ـ أفهم من هذا أنك لا تريدين مايسي بعد الظهر فعندي كومة كبيرة من المراسلات التي تحتاج إلى ردود.

قالت الجدة من على باب الغرفة مع نظرة ملتوية:

ـ لا بأس.. لكن تأكد أن تكون الطفلة جاهزة للعشاء في الوقت المحدد. فأنت تعرف أنني أحب وجباتي منتظمة..

لم تكن مايسي واثقة إذا كان هذا الكلام موجهاً لها أم لجايستن لكن دون انتظار لتعرف وقفت متمتمة بعصبية:

ـ سأنتظرك في المكتب.

جاء رده الفوري بصبر ساخر:

ـ اجلسي مايسي، وتوقفي عن الظهور وكأن الحكم بموتك قد صدر لتوه.. أنا واثق أنك ستتمكنين من العيش برفقتي بعد ظهر اليوم،

دون التعرض لضرر دائم.

لم تكن واثقة، لكنها لن تتركه يعرف هذا. بجهد عادت إلى مقعدها تبتسم برياء:

- يا إلهي.. لقد أرحت بالي.. أنت تعني أنني لو تعرضت لضرر سيكون لحسن حظي ضرراً مؤقتاً؟

وارتفع حاجباها بسخرية.

- بأية طريقة نظرت إلى الأمر لن يكون «من حسن حظك» إذا لم تنتبهي إلى خطواتك حلوتي.. أنت إحدى أكثر التعيسات إثارة وقد دفعني سوء حظي لمقابلتها.

تركت مايسي عينيها تنفتحان واسعتين، ثم سألت بدهشة:

- فقط «إحدى أكثر التعيسات إثارة؟».. هذا ما سيكدرني.. أترى، أنا دائماً أحب أن أكون الأفضل!

ووضعت مرفقيها على الطاولة، تربح ذقنها على أصابعها المتشابكة... ضحكة جايستن رنت في الغرفة المرتفعة السقف:

- أنا واثق أنك مع القليل من التحريف، ستكونين الأفضل! لكن، في الوقت الحاضر، وكما قلت لك بالأمس، قد تكونين مضطرة لتقبل عدة دروس قبل أن تصلي إلى الصف الأعلى!

وابتسم بكسل، متحركاً ليغادر الطاولة.

وقفت مايسي عن كرسيها تسير نحو الباب، ورأسها مرفوع، ناسية تماماً للحظة مظهرها المنزعج هذا.. تقول من فوق كتفها:

- وكما قلت لك بالأمس.. من الأفضل أن لا تحاول أن تجرب!

- وهل هذا تحدٍ؟

صوته المتشدق ملأ المسافة الفاصلة بينهما.. وبوصولها سالمة إلى الباب، استدارت إليه ترفع كتفها دون اكتراث تقول بتهور:

- افهم ما تشاء.

لكنها تأكدت من أن تبتعد بسرعة عبر الردهة قبل أن تتاح له فرصة

أن يأخذ كلامها على محمل الجد

مع ذلك، وقبل أن تتمكن من المرور عبر غرفة الانتظار إلى داخل المكتب. تسللت يد قوية تحت شعرها الطويل، وأمسكت بمؤخرة عنقها. فأجفلت تتسمر في مكانها.. الآن، بماذا أوقعها لسانها المهذار؟ فتح جايستن الباب بيده الحرة، ودفع مايسي إلى الداخل، ووضع فمه على إحدى أذنيها الصغيرتين.. وقال ينصحها بنبرات منخفضة:

- استرخي حلوتي.. لدي الكثير من العمل الآن! اجلسي فقط.. ها أنت فتاة طيبة.. بينما أرتب هذه الأوراق.. و.. دون تضييع وقت.. أرجوك.

وابتسم ابتسامة لا تقاوم.

جلست مايسي على كرسيها، وكشفت غطاء الطابعة، أحست بأنها مجروحة الكبرياء، لكنها لا تعرف لماذا.. ربما لأنها تعرف أنها أبعد ما تكون عن المناعة ضد هذه الرجولة الغامرة التي يمتلكها جايستن، ودونما جهد يذكر من جهته.. في وقت قادر فيه أن يصرف النظر عنها وكأنها إزعاج غير مرغوب فيه، ودون أن يفكر مرتين. نظرت ساخطة إلى الرأس المنحني، بشعره الأسود المتجعد، وهو يراجع أوراقه.. وقالت بتمرد هامس:

- أنا لست حلوتك!

رفع رأسه ببطء، وقال يوافقها الرأي:

- هذا صحيح.. فالحلو يذوب في الفم بكل دفء، ويعطي نفسه بكل كرم، دون التفكير بمكافأة.. لا يوجد واحد من هذه الأوصاف ينطبق عليك لا من قريب ولا من بعيد. أليس كذلك مايسي؟ قطة متوحشة غير مروضة قد يكون الوصف الأنسب في حالتك.. هه؟ واحدة مخالبها تحتاج إلى تقليم، والأفضل أن يكون هذا من هنا!

وأشار بيده إلى عنقه.

وجدت مايسي صعوبة في الاحتفاظ بالنظرة غير المكترثة، وأحست بتصلب وجهها، لكنها كانت مصممة أن لا تتركه يعرف كم آلمتها كلماته.. وتشبثت بعمق بما تبقى من إرادتها، لتبتسم وتقول له متعالية:

- إنه مثال بدائي الذي استخدمته لتوك.. باستخدامك تعبير قطة متوحشة، والتي توحي آلياً بالتوحش، كلمة غير مروضة، أصبحت غير ضرورية بتاتاً..

- كما قلت إنك تفضلين دائماً أن تكوني الأفضل، ربما اعتبرت أنني باستخدامي التعبيرين معاً، يكون التأثير قوياً بما يكفي ليصفك بصدق أكبر!

وعاد يحني رأسه على أوراقه دون اكتراث.

مرة أخرى وجدت نفسها تحدق برأسه الأسود، لكن هذه المرة دون أن تنطق بكلمة، لكنها أخذت تتمتم في داخلها حانقة: هذا غير عدل، وشدت على قبضتيها في حجرها.. إنه ينتقل من الفتنة المذهلة إلى السخرية المهينة بسرعة، ومحاولة معرفة ما سيكون عليه مزاجه الحالي، كمحاولة حل معضلة عملاقة بالنسبة لمايسي.. ولقد جعل جهازها العصبي كله يتوتر من طرفه إلى طرفه الآخر.

أخيراً، رفع رأسه، وطلب من مايسي أن تأتي بدفتر الملاحظات وما إن جلست أمام طاولته، حتى بدأ يملي عليها بسرعة، بالكاد تمكنت من مجاراتها دون طلب توقف.. مهما كان سبب سرعته، أهو الغضب أم عائد إلى كمية العمل التي ينوي أن ينهيها، لم تتح لها الفرصة للتفكير، ما عدا التساؤل هل تكون إدارة مزرعة مواشي، تتطلب كل هذه المراسلات.

بانتهاء آخر رسالة، قال جايستن آخر كلماته «لك إخلاصي» مع تنهيدة امتنان، بينما مددت مايسي، بامتنان كذلك، أصابعها المتشنجة.. وقال لها بلهجة رسمية:

- أظن هذا كل شيء.. شكراً مايسي.. إذا استطعت طباعة هذه في الغد.. دون ترك مارتا تنتظر أوقات الطعام.. سأكون ممتناً، بإمكانك توقيع رسائل العمل، والرسائل الشخصية أعرضيها على مارتا لعلها تريد إضافة شيء عليها.

هزت مايسي رأسها تتقبل تعليماته، وتقف برشاقة تلتقط كومة الرسائل، لتعود إلى طاولتها، لكنها استدارت متسائلة حين ناداها:

- أوه.. هناك شيء آخر.. هناك قسم من سجلات أنساب أريد نسخها.. لا داعي للعجلة، لكن كي لا أنسى أن أطلبها منك بعد عودتي من بريزبن.. إنها في أول درج من خزانة الملفات.. إذا شئت أن تأتي بها.

أحضرت مايسي الملف المطلوب، ووضعته على طاولته، تقف بقربه وهو يدير الصفحات المليئة بالتفاصيل.. ثم قال بلهفة:

- هذه هي، من أيلول السنة الماضية إلى الشهر الحالي.

ومرر أصبعه على السجلات.

وهي تنحني لتتأكد من أن لا تخطىء، انزلق شعرها إلى الأمام ليستلقي كالحرير على كتفه. قبل أن تتمكن من سحبه، أبعده عنه بنفاذ صبر، وقال لها بغضب:

- لأجل الله! تخلصي من هذا "شعر اللعين مايسي، إنه مزعج!

قفزت إلى الوراء وكأن شيئاً لسعها، ووجهها يحترق إذلالاً وهمست بصوت ضئيل: أنا آسفة.

حتى شعرها مخطىء الآن! وكأنما فعلت هذا عن قصد. ولو أعطاها نصف فرصة، لكانت أبعدته بنفسها. واضح أن أي شيء فيها يغضب جايستن غراهام..

سحبت السجل لتضعه إلى جانب طاولتها مع بقية عملها، وجلست تضع الأوراق والأوراق الناسخة في آلة الطباعة.. كانت وجنتاها لا زالتا متوردتين، وعيناها تلمعان تحت الرموش السوداء..

لكن، حين صدف والتقت بعيني جايستن الفولاذيتين أدارت رأسها بحدة، واستغرقت في حل رموز اختزالها، تسمح لشعرها «المزعج» أن ينسكب إلى الأمام وكأنه الستارة الحريرية اللامعة، لتخبىء وجهها. تمنت أن يذهب جايستن إلى بريزبن ولا يعود أبداً! وبدأت الطباعة بغضب.

بعد لحظات، تحرك جايستن برشاقة عن مقعده، وقف قرب طاولتها دون النظر إليها، وترك الغرفة بخطوات ثابتة. . توقفت مايسي عن الطباعة، وأخذت سيكارة من العلبة التي تركتها في الدرج، وأشعلتها. . إنها تريد شيئاً يساعدها على الاسترخاء! مرت فترة قبل أن تعود نبضاتها إلى معدلها الطبيعي. لكن، في هذه الأثناء، أحضرت رباطين من المطاط وجمعت شعرها إلى الوراء في خصلتين خلف أذنيها وربطتهما. . ربما هذا يرضيه أكثر!

لكنها لم تحصل على مناسبة لتعرف، فجايستن لم يعد إلى المكتب بعد الظهر، وطبعت مايسي وحيدة. ولكي لا تبقى العائلة منتظرة على الوجبة تلك الليلة. . تركت المكتب قبل وقت طويل لتغتسل وتغير ثيابها لترتدي فستاناً أخضر طويل، وترجع شعرها بحدة عن وجهها وتربطه، ثم تدق باب مارتا لترى ما إذا كان هناك شيء تساعد السيدة به.

استيقظت مايسي باكراً يوم الأربعاء، كان الهواء لا يزال بارداً، والشمس التي بدت لتوها من الأفق، لم تعط بعد فرصة لتنشر أشعتها الزهرية الكسولة. . حتى العصافير لم تكن قد بدأت بعد حديثها الصباحي. تنشقت نفساً عميقاً وعادت لتستلقي على وسادتها، تضع يديها وراء رأسها، تستلقي محدقة بالسقف، وأفكارها تدور باضطراب حول أحداث الأمسية السابقة.

صحيح أن شيئاً غريباً لم يحصل، لكن الانزعاج كان سببه تردد مايسي في الاعتراف أن جايستن غراهام لم يكن فقط مثال الرجولة الحية

الجذابة، بل إنه يملك هذا التأثير الغامر على مشاعرها المتململة. . وهو تأثير تستخدم كل الوسائل المتاحة لها، لتحاربه. . فلا فائدة لأن تسمح لنفسها أن تنجذب إلى رجل مثل جايستن. . إنه معتاد على العيش في عالم كله خطط خاصة، حفلات صاخبة، ومنازل قديمة ثمينة جميلة. عالم بعيد جداً عن طريقتها المتواضعة في الحياة. ثم، ماذا يمكن أن تتوقع أن تكسب من ترك مشاعرها تنفلت دون قيد؟ المزيد من الألم والعذاب. . خاصة وأنه يؤمن بأنها تقدمت إلى العمل، لمجرد أن تخدم مصلحتها. . مع أنه، حين يعاملها بسحره الممازح تضطر إلى مقاومة كل دوافعها الطبيعية للانجراف في الدور الذي اختارت أن تلعبه. . أو بالأحرى الدور الذي اختاره هو لها لتلعبه. . وتتوقف عن محاولة إغضابه عند كل منعطف.

مثل ليلة أمس، مثلاً. .

فبعد أن أوصلت مارتا إلى غرفتها عادت إلى المطبخ لتقطي ساعة ممتعة تتحدث إلى جوليا وتراقب لودي تحضر العجين الذي ستتركه طوال الليل ليخمر، قبل أن تخبزه في الصباح. فجأة تذكرت، أن بعضاً من ثيابها يحتاج إلى الكوي، فسارعت عبر الردهة تنوي أن تحضر الثياب اللازمة من غرفتها. . لكن قبل أن تصل أسفل السلم، اصطدمت بقوة مع جايستن وهو يخرج من مكتبه.

يدان قويتان أمسكتا كتفيها بثبات لتوقفاها. لكن، حين حاولت الخلاص منهما، بدتا مترددتين في تركها، فاضطرت للبقاء واقفة قريباً منه. . وقال ساخراً:

- سمعت أن هذه المرة الثانية التي تستخدم فيها أسرة غراهام أحد أفراد أسرتك.

بدا الذهول على مايسي، فهو لم يطل الوقت قبل أن يكتشف هذا. فتشت وجهه عن أي دليل ينم عن مشاعره، لكنها لم تتمكن من كشف شيء محدد، فردت نظرته دون أن يرف لها جفن. وردت ترفع رأسها

متحدية: هذا صحيح.

تحركت أصابعه حول عنقها، وأخفض رأسها قليلاً يقول ساخراً:

ـ حسن جداً.. حاولي أن لا تسببي الكثير من الضجة وأنت هنا.. هه؟ فأنا لن أحب اضطراري لاستخدام وسائل عنيفة منطرفة لكبح نشاطك.

سألته ساخطة، تقاوم إحساساً غادراً تسببه يداه..

ـ وماذا يعني هذا؟

ذكّرها بإيجاز، وهو يحرك يديه ليضعهما على خصره ويسند كتفه على الباب:

ـ لا زلت رب عملك.. ولا زلت مسؤولة أمامي عن تصرفاتك، فلا تنسي هذا مايسي.

بعد أن أزاح يديه المزعجتين، أحست مايسي بقدرة أكبر على التفكير بوضوح، وتحدته دون اهتزاز، وبسخرية حلوة:

ـ وإن يكن؟ ماذا سيحصل؟ هل ستجلدني بالسوط كما فعل أسلافك، دون شك، بخدمهم؟

تبعت هذه الملاحظة، نظرة ساخرة، جعلت مايسي تحني رأسها بارتباك، تغلي من الغضب وهي تسمع ضحكته، ثم رده:

ـ أشك في أن يتمكن رجل أن يأمر بعقوبة قد تشوه مثل هذه البشرة الجميلة، حلوتي.. ولا حتى في تلك الأيام، أنا وثق أنهم اخترعوا وسائل أخرى لإبقاء متمردة مثلك ضمن النظام.

مصممة أن لا تستجيب لتهجماته، ردت بعناد:

ـ مثل ماذا؟

نظرة خبيرة جابت عن قصد قسمات وجهها ثم جسمها، إلى خصرها.. وقال ببرود:

ـ واحدة بجمالك حلوتي، أشك أن يسمح لها أن تغادر فراش السيد، لمدة تسمح بأن تسبب المتاعب.

كان رده بعجرفة رجولية، بينما غزا اللون الأحمر خدي مايسي. لكن شهقة حرج صغيرة، أفلتت من فمها دون قصد، قبل أن تصمم على أن لا تترك له الكلمة الأخيرة، ليس هذه المرة.

وبرفعة ساخرة لحاجبيها سألت:

ـ وهل تصرفت عائلتك هكذا مع الخدم؟ أم ربما لا زالت تتصرف هكذا.. أهكذا تحصل على سعادتك جايستن؟ صفعة على مؤخرة خادمة أو قرصة وراء السلم؟

تلقت ابتسامة عريضة مُعذبة.

ـ إذا كانت هذه هي القضية، لكانت النتيجة مثيرة للاهتمام.. أم أنك لا تعرفين أن أسرة غراهام لديها ضعف قديم أمام الشعر الأحمر؟

أبعد نفسه عن الباب، ليمرر أصبعاً طويلاً على طرف أنفها الدقيق.. لم تكن متأكدة، ما إذا كان يجب أن ترضي غرورها لوصفه، أم تقلق.. لكن اعتباره أنها جميلة، أعطى دفعاً رائعاً لمعنوياتها.. مع أن فكرة أن تكون وجايستن أي شيء أكثر من عدوين، فكرة يجب أن تصرفها عن ذهنها.. فهذا سيضعها في موقف حرج، وأصلاً تشك بقدرتها على تحمل هجوم متعمد من ساحر واحد من أسرة غراهام.. مع خطوة إلى الوراء، ابتسمت، وردت:

ـ لكن، في حالتي أنا، أنا واثقة أنك قادر على أن تضع استثناء وتسيطر على ضعف عائلتك.. فعلى أي حال، لن يفيد أحد أفراد أسرة غراهام العظام، أن يتورط مع باحثة عن الثراء مثلي.. أليس كذلك؟ فكر فقط بالعار، بالخزي، بالذل الكامل للمسألة كلها!

عرّضها جايستن لتقييم قاسي من عينيه وهو يتقدم نحوها، مما جعلها تقفز إلى الوراء، وتستند إلى الجدار حين مر بها.. وسألها:

ـ أتعرفين شيئاً؟ أنت تتكلمين كثيراً!

واستمر يسير في الردهة بتلك الخطوة الواثقة بينما تلاشت مايسي على الجدار، ودماغها في حيرة.. آخر ملاحظاته تركتها دون شيء

تقوله.. حين تركها فجأة سمعت ضحكة سوزان تأتي واضحة مع الهواء، تبعها صوت أعمق لرجال، وأصوات أبواب سيارة، ثم هدير محركها الناعم.. بحركة انهزامية، رمت المفرش عن سريرها وارتدت الروب القطني الخفيف، وتقدمت حافية القدمين إلى النوافذ. حيث وقفت تنظر إلى اختفاء سيارة ستايشن بيضاء، وهي تستدير من وراء الأشجار، في طريقها كما افترضت إلى المطار الخاص.

بكتفين منحنيتين.. عادت إلى غرفتها، وأشعلت سيكارة، ثم عادت إلى السرير.. فكرة كانت تلمع في رأسها، أنها هذه الأيام تدخن أكثر مما كانت تدخن في ميلبورن.. لكنها قلقة أكثر من أن تجلس.. والنوافذ شدتها مرة أخرى دون أن تقاومها.. بعد أن أنهت سيكارتها، صوت آخر قطع صمت الجو.. محرك أكثر ضجيجاً هذه المرة، رفعت بصرها عبر الزجاج لترى طائرة صغيرة، ترتفع ببطء، بنصف دائرة فوق المنزل، قبل أن تتجه شرقاً تشق طريقها بعيداً عن الأنظار، في السماء الزرقاء الساطعة.

***

٦ ـ النهر ثانية

كان الأسبوع الذي غادر فيه جايستن المنزل حافلاً بالنسبة لمايسي حيث أمضت برفقة مارتا أوقاتاً طيّبة.. اطلعت خلالها على تاريخ العائلة وظروف تواجدها في تلك البقعة من الأرض.. وأمام المدفأة القديمة كانت مارتا تستعيد شريط ذكرياتها... فالمنزل الكبير كان صغيراً، يتألف من طابقين... والحجر الرملي كان قد أخذ من مقلع حجارة قريب من هنا.. أما السقف الخشبي فقد استبدل بسقف حديدي.. وهكذا كانت مايسي تمضي معظم أوقات الصباح.. على عكس فترات بعد الظهر حيث كانت تساعد غاي في أعمال المكتب لساعات طويلة..

وكذلك استغلت مايسي غياب جايستن المفاجيء.. فأمضت وجوليا وقتاً طيباً برفقة جون وغاي في كوخ رامبرت على أنغام الموسيقى..

ومع ذلك كانت تنظر بقلق إلى الأفق البعيد لدى سماعها أي صوت قد يشبه صوت محرك طائرة.

ولم تقل مارتا شيئاً عن سبب غياب حفيدها، بل أخبرت مايسي فقط أنه اتصل ليقول إن لديه أعمالاً كثيرة عليه أن ينجزها. وحينما أرادت أن تستوضح الأمر من غاي، ضحك، وشرح لها أنه من الطبيعي أن تواجه جايستن مشاكل إضافية ما إن يصل إلى المدينة وسيعود بأسرع وقت ممكن..

فراشة المحبة

لكن هذا لم يطمئن مايسي كثيراً وأخذت تتساءل عن سبب اهتمامها الزائد.. صحيح أنها تجده جذاباً لكن ذلك ليس سبباً كافياً كي يجعلها قلقة بهذا الشكل..

وبعد ظهر الاثنين أخذت مارتا بالسيارة إلى «وست سبرنغز» وهي مدينة ريفية كبيرة تقع على بعد أميال من وايامبا، وفي الوقت الذي كانت فيه مارتا تزور بعض الأصدقاء كانت مايسي تتجوّل في البلدة حيث اشترت بعض الأشياء الضرورية.

أما يوم الأربعاء وبسبب الحرارة القوية فقد قررت مايسي الذهاب إلى النهر، فارتدت بنطلوناً أخضراً قصيراً، وقميصاً يحمل اللونين الأبيض والأخضر.. ومن ثم شدّت شعرها إلى الخلف على شكل ذنب حصان وخرجت..

المنخفض، أو الممر، كما يدعوه معظم الرعاة، سيكون أفضل مكان لها.. هي وجوليا زارتا المكان أكثر من مرة منذ قيل لهما إن الناس لا زالوا يمتعون أنفسهم بالبحث عن الذهب الخام..

نظرت مايسي إلى المياه الصافية المتقلبة.. ونزلت تتمتع بالبرودة.. لكنها لاحظت أن المياه بعد مطر الصباح كانت أعمق بكثير من المعتاد، وتقدمت أكثر من ذلك حتى غمرت المياه ركبتيها، فأخذت تغرف الرمال والحصى بمصفاة أتت بها معها.. وبعد ساعة، غرفت الماء بيدها ورمته على وجهها، قبل أن تستقيم متنهدة لأنها لم تكتشف شيئاً، ولا حتى مجرّد حجر صغير..

لكن تلماته الساخطة «ماذا تظنين نفسك فاعلة؟» جعلتها تستدير بسرعة، حتى كادت تفقد توازنها، لتحدق بالرجل الجالس على جواد أسود اللون.. للحظات نظرت إليه غير مصدقة، فهي لم تسمع صوت الطائرة، حتى أنها لم تكن تتوقع رؤيته.. ومع ذلك لن تستطيع أن تكذّب عينيها.. إنه جايستن بعينه..

والأكثر من هذا بدا لها أطول قامة وأعرض جسداً..

أحست أن عيناه النافذتين لم تغادرا لحظة واحدة وجهها وابتسمت قائلة:

- لا شيء أكثر مما تتوقعه.. أبحث عن الذهب.. عن الثروة..

- ألم يقل لك أحدهم إن هذا الجزء من النهر قد يكون خطراً؟

- غاي وجون.. ، قالا ذلك.. لكننا حتى الآن لم نواجه أية متاعب.. وكما ترى فأنا أجيد فن السباحة.

اقترب جايستن من المياه وقال ساخراً:

- في مياه كهذه لا أظن أن لديك الخبرة الكافية.. وأقترح عليك أن تخرجي فوراً.. فلقد حدثت حالة وفاة في هذا الممر، ولا نحتاج لأخرى!

وفاة! لم يذكر أحدهم هذا! فجأة خطرت ببالها فكرة.. أيمكن أن يكون الأحمر من يتكلم عنه؟ أفي هذا المكان انقلبت به العربة؟ واضح أن لا مخاضة غير هذه يمكن أن يختارها مع فيليستي في تلك الليلة.. وأرادت أن تخرج من النهر كي تسأل جايستن عن هذه النقطة من تاريخ عائلتها.. لكن، ما إن تقدمت خطوتين حتى انزلقت قدمها في المياه المتدفقة العميقة..

للوهلة الأولى فكّرت وهي تغوص تحت الماء أنها ستتمكن من السباحة عبر التيار وتصل سالمة إلى الضفة.. لكن ما إن ارتفعت فوق الماء، حتى حملها التيار إلى ما بين الصخور وحاولت جاهدة أن تبقي رأسها فوق الماء.. عادة تعتبر نفسها سباحة ماهرة، لكن، وكما حذرها جايستن، في مياه كهذه يبدو أن قدرتها على السباحة، لا فائدة منها.. وما كان يزيد الأمر سوءاً، أنها عندما فقدت ربطة الشعر والقبعة معاً أخذ شعرها يلتصق بوجهها، ممّا حجب عنها الرؤية تماماً.

ومع ذلك، لم تخف على نفسها إلا بعد أن رمتها المياه المتدفقة على صخرة شبه مخبأة ممّا أدّى إلى رضّ ساقها.. لا.. لن تغرق..! لكنها ستصطدم بالصخور حتى تموت! ومرة أخرى شدتها المياه إلى

www.liilas.com/vb3

قاع النهر الذي أخذ يتدفق بقوة عبر الصخور فأصيبت كتفيها ببعض الخدوش.. وبمحاولة يائسة منها ظهرت مجدّداً على سطح الماء فأبعدت شعرها عن وجهها للتخلّص من الاندفاع الرئيسي للنهر. لكنها لم تتمكن من ذلك إذ برز في وجهها أصعب جزء من النهر المضطرب، عندها شعرت وكأنها تستدير جانبياً، وتتقلب مرات ومرات تحت الماء إلى أن أحست برئتيها تكادان تنفجران.. وفجأة اصطدم وجهها بصخرة مستديرة مما آلمها.. لم تيأس مايسي من المحاولة فلفّت ذراعيها حول تلك الصخرة بقوة كي لا يجرفها النهر من مكانها الآمن وانتابتها نوبة من السعال الحاد كادت تتسبب باختناقها وذلك لتزايد الماء في رئتيها.. و.. شعرت بأن شيئاً دافئاً لامس كتفيها ممّا دفعها إلى الصراخ بصوت منخفض إذ خيل إليها أن مخلوقاً غريباً قدم من الأعماق ليطالب بما فقده التيار.. واستدارت ببطء لتواجه جايستن وهو يدفع الشعر المبلل إلى الخلف عن جبينه، وبغضب مشتعل.. صاح بوحشية:

ـ أيتها الحمقاء الفاقدة للمسؤولية.. كان يمكن أن تتسببي بمقتلنا معاً!

إنها تعرف هذا جيداً ومع ذلك لم تستطع سوى أن تنظر إليه ببلاهة عبر ستارة من الشعر الملتف حول وجهها. وبيد لطيفة أزاح شعرها عن وجهها وقال مؤنباً، لكن بتسامح:

ـ هذا الشعر اللعين مجدداً.

لكنه حين شاهد تلك الخدوش قطّب جبينه نادماً ولفّ ذراعه حول خصرها قائلاً:

ـ تعالي.. دعينا نخرج من هنا.

عندها رمت ذراعاً متلهفة حول عنقه وأخذت تتعلق به بقوة، وهما يشقان طريقهما ببطء وثبات من صخرة ناتئة إلى أخرى وهكذا إلى أن وصلا أخيراً إلى مياه هادئة قرب حافة النهر فأحنت مايسي مجدّداً

بالأرض الصلبة تحت قدميها وسرعان ما ساعدها جايستن لتخرج من الماء، وعند الضفة جلست وقد ضمت يديها بجهد حول ركبتيها وذلك لمنع نفسها من البكاء.. إنها تجربة رهيبة لا تود أبداً أن تتكرر..

وبحركة كسولة، أمسك جايستن مؤخرة عنقها المحني مواسياً، ثم رفع رأسها إلى الوراء، يتفحص الضرر الذي حدث للبشرة الناعمة.. ودون وعي منها رفعت مايسي يدها إلى عظام خدها التي تؤلمها، تتحسس الرضوض.

وفجأة سمعت صوت جايستن وكأنه قادم من بعيد، يتنهد بهدوء ويقول:

ـ لا أظن هذا سيترك أثراً.

رفعت عينيها، وقالت بحرقة

ـ وهل يهمك هذا؟

رد بصوت منخفض.

ـ أجل.. يهمني كثيراً.

وهذا ما فاجأها تماماً.. لكن ليس أكثر من ذلك العناق الذي استجابت له دون وعي منها ما الذي دهاها حتى يؤثر عليها هكذا؟ بالطبع سيهتم لو بقيت آثار الجروح على وجهها.. ولما لا يهتم؟ لا بد أنه يفكر بأنها قد تكلف الشركة المال الكثير، أو ما شابه ذلك!

لكن، ليس هناك أي سبب يدعوه لأن يعانقها.. ولا تجد سبباً لتصرفه هذا، إلا إذا كان يريد منها الطمأنينة والمواساة. وهذا بالطبع، ما هي عليه الآن.. على أي حال، لقد أخبرها دائماً، وبما يكفي، ما هو رأيه فيها!

وكي لا يبدو عليها الارتباك تراجعت قليلاً إلى الوراء وابتسمت قائلة:

ـ يبدو أن هذه البقعة من النهر معتادة على التخلص من الناس غير المرغوب بهم ومنذ قليل كنت تشير إلى موت الأحمر أليس كذلك؟

وكأنما كان يقرأ أفكارها فنظر إلى الوجه المبلل وقال:

ـ صحيح.. لكن ذلك كان من فعل يديه.. لا دخل لأسرة غراهام في ذلك، وفي حالتك، أنا متأكد أننا سنتمكن من استنباط وسيلة أقل عنفاً... وبما أنك ترغبين بأن تكوني الأفضل.. سنرغب بدورنا أن نكون مبدعين.

بإمكانها أن تصدق هذا.. أن تصدق أيضاً بأن جايستن لا زال غير راضٍ عن اضطراره لتوظيفها رغماً عنه. فثارت للفكرة وردت بوقاحة:

ـ من المؤسف لك جايستن أنني توظفت بشروط.. وإلا فأنا واثقة من أنك كنت ستجد سبباً لطردي من أملاكك وبعيداً عنك!..

ـ إذا كان هذا ما أريده حقاً فلا زلت قادراً على أن أفعله مايسي..

ـ لكن.. لكن العقد!

ابتسم.. وأطال الوقت قبل أن يرد:

ـ آه.. أجل.. العقد.. في الواقع كان عليك أن تقرأي العقد بكامله قبل أن توقعيه مايسي.. ولأكن صريحاً معك.. فالعقد يعطيني الحق في نقلك إلى أي فرع تملكه الشركة، وبنفس شروط توظيفك.

ـ لكنني وظفت هنا لأكون مرافقة مارتا! ولا أستطيع القيام بهذا العمل في مكان آخر.. أليس كذلك؟

ـ ووظفت أيضاً لأعمال السكرتارية. وأنا قادر على إقناع مارتا بوجهة نظري لو قلت لها إن الشركة تحتاجك أكثر منها..

لا أحد يشك في ذلك.. ردت غاضبة:

ـ ولكن هل لي الخيار إلى أين سأذهب؟ أم أنك اخترت لي مسبقاً أبعد نقطة؟

ـ لا.

ـ لا.. ماذا؟

ابتسم لها وقال:

ـ لا.. ليس لديك أي خيار.. ولم أختر لك بعد أبعد نقطة.

سألته، متلهفة لمعرفة الأسوأ:

ـ حسناً.. وإلى أين سأذهب إذن؟

ـ لن تذهبي إلى أي مكان.. وإذا كنت ستعملين للشركة، فأنا أفضل أن تعملي حيث أستطيع مراقبتك..

ـ لكن.. لكنك قلت لتوك..

قاطعها:

ـ لا.. لم أقل.. قلت إن العقد يعطيني الحق في نقلك.. لكن طيشك جعلك تظنين أنني سأفعل!

يا للعار! لقد تعمد أن يقودها إلى هذا الاعتقاد..! فأخذ صدرها يعلو ويهبط بحدة.

لقد ظن يوماً أن يده تحثه لكي يضربها.. لكنها الآن بإمكانها أن تؤكد له أن هذا شيء لا يقارن أبداً بالرغبة التي تجتاحها لترفع يدها وتصفعه.. إلا أنها تمكنت من السيطرة على غضبها بحيث طوت أصابعها بشدة على شكل قبضتين. فقال معلقاً:

ـ هكذا أفضل.. وإلا لوجدت نفسك تحصلين على أكثر مما تتمنين.

سألت ساخرة:

ـ وماذا تعني بكلامك؟ إنه قد ينتهي بي الأمر، كما هددتني سابقاً، بالجلوس على ركبتيك؟

ـ أو في فراشي مثلاً.

احمرّ وجهها خجلاً، ووقفت متسمّرة.. أرادت أن ترد عليه لكنها لم تستطع بسبب الصور المتلاحقة أمام عينيها، والتي أخذ تفكيرها يصورها لها.

وأمام احتقارها الكامل لنفسها وجدت أن تلك الفكرة تحمل معانٍ كثيرة وتساءلت فيما إذا كانت هي من أوحى لجايستن بهذا في وقت كانت عيناه الرماديتان تأسران عينيها بشكل مغناطيسي منوّم..

وبهزة قوية من رأسها بدأت تتحرك صعوداً عن الضفة، لكنها كادت تقع لولا أن ذراعاً قوية التقطتها بقوة..

ـ أنا.. آسفة لقد سببت لك من الإزعاج ما يكفي.. لا أدري ما حصل لي.. أنا لست خرقاء كما تظن.. لكن..

ـ على الأرجح، لا تمضين وقتك كما يجب..

ـ ويرأيك أن أؤخذ إلى الفراش كطفلة صغيرة.. أليس كذلك؟

لا.. لن أرضى بذلك جايستن!

ـ إذن تحفظين نفسك للزوج الذي تنوين إيجاده.. هه؟ هذا تفكير جيد منك.

أدركت بالضبط المعاني التي حاول أن يستشفها من كلامها، وبحثت عن رد ساخر:

ـ طبعاً.. فالمبلغ الذي سيدفعه يعطيه الحق في أن يكون الأول.. ألا تظن هذا؟

وضع كلتا يديه في جيبي بنطلونه، وأخذ ينظر إلى وجهها المتسائل أمامه ليقول بوضوح:

ـ أظنك ستدفعين الثمن غالياً لوقاحتك مايسي.. ولن تستطيعي الدفاع عن نفسك.. لا كلامياً، ولا جسدياً.. أشك في ذلك!

ردت مايسي متحدية:

ـ ألا تظن هذا؟

واضح أنه لم يكن مستعداً لأخذ كلامها كمجرد رفع لمعنوياتها أكثر من كونه تحدياً.. بحيث أمسكها بين ذراعيه بقوة.. هذه المرة على ما يبدو لم يكن عناقه لها مريحاً، بل كان عنيفاً ومصراً... بدأت تقاوم دون أمل الجسد الخشن الذي كانت تحس به عبر ملابسها المبللة.. لكن، لا مجال للهرب.. فقد أصبحت ذراعاه أكثر التصاقاً إلى أن استسلمت منتهدة، وتعلقت به، لترتفع ذراعاها، طوعاً، إلى كتفيه العريضتين ثم إلى شعره المبلل.

فجأة، أصبحت لوحدها، ترتجف من الخوف وهي تراقب اللمعان الحاد في عينيه..

ـ لا أظن هذا، أنت لست قادرة على الدفاع عن نفسك.. على الأقل جسدياً.

وابتسم لها بطريقة آسرة مما جعل قلبها يخفق بسرعة داخل ضلوعها. وفي طريق العودة إلى المنزل حاولت أن تعرف ماهية مشاعرها المشوشة، لكنها لم تستطع..

مرة أخرى فاجأها عناقه المثير، فأحست بالصدمة والإذلال لتجاوبها غير المألوف. ولو أنها صادقة مع نفسها لمَ تركته يفعل هذا؟.. أن ترد له عناقه بمثل ذلك الاستسلام، في وقت تعرف فيه، جيداً، كيف ينظر إليها، فهو ليس بالغباء فقط وإنما الخزي بعينه.

اختلست نظرة سريعة من تحت رموشها.. وكأنما هو أكثر الرجال جاذبية.. لا.. بل هو حقاً أكثرهم جاذبية لكن حتى الآن، لم تعتبر نفسها الفتاة التي تثار لمجرد الجاذبية الرجولية. وفكرة أنها كذلك، بعد كل شيء، أزعجتها كثيراً فهي تعرف لو أن جايستن، أخذها مرة أخرى بين ذراعيه، لما ترددت في الرد على عناقه.. وهذا ما جعل جبينها الأملس يتجعد.

ـ كنت محقاً في كلا الأمرين، كما يبدو.

صوت جايستن أخرجها من أفكارها مع نظرة حائرة:

ـ في كلا الأمرين؟

ـ قلت لك إنك لست قادرة على الدفاع عن نفسك لا جسدياً ولا كلامياً.. وأظن أن الحالة الأولى جرى إثباتها دون أي شك. وبما أنك لم تتفوهي بكلمة واحدة حتى الآن.. فيمكنني القول إنني انتصرت عليك في الحالة الثانية.

لأنه استطاع بنجاح أن يجعل محاولاتها للمقاومة تبوء بالفشل، فليس بوسعها سوى الموافقة معه.. ولو في نفسها.. مهما كانت

كارهة لهذا الاعتراف. قررت أن تعامله بسخرية مزدرية، فليظن بها ما يشاء.. ما عليها سوى أن تعيش معه ثلاثة أشهر ومن ثم تذهب وجوليا في طريقهما بسعادة، دون أن يتمكن جايستن غراهام من أن يقول لها ما يمكن، وما لا يمكن أن تفعله!

الطريق إلى المنزل كانت طويلة وقد استغل جايستن ذلك فأخذ يشير إلى الأماكن على طول الطريق.. هنا مقلع الحجارة، الذي لا يستخدم الآن، وهنا التجويف الرملي حيث طعن أحد رعاتنا بالحراب على يد السكان المحليين خلال القرن الفائت، وهنا المقبرة القديمة حيث دفن الرواد الأوائل من أسرة غراهام، وابنتهم فيليستي، إضافة إلى الأحمر والراعي المنكود الحظ.

كانت المقبرة جميلة جداً يحيط بها سياج أبيض خشبي.. خلال تجوالها حول المنزل، لم تصادف مايسي هذه المقبرة الصغيرة من قبل، وأقسمت أن تعود لوحدها فيما بعد لتتفحصها عن كثب.. لقد أسعدها أن تعرف أن فيليستي والأحمر مدفونان جنباً إلى جنب.. وهذا ما حرما منه في حياتهما، فحققه لهما الموت.

أمام المنزل أوقف جايستن مايسي ليلمس الوجه المصاب بالخدوش.. وباستغراب، لم تحس بالألم، بل كانت لمسته مخففة للألم، وقال ينصحها:

ـ اهتمي بهذه، ثم استريحي لما تبقى من بعد الظهر.

ـ وهل ستفعل أنت؟

ـ أفعل ماذا؟ أهتم بجروحك أم أستريح؟

نظرت إليه ساخطة:

ـ ترتاح طبعاً.. أنا أستطيع أن أعتني بنفسي.

رفع حاجبيه، وقال:

ـ هذا قابل للنقاش.. لكن لا، لا أنوي أن أرتاح.. فهناك مطيتي عليّ أن أجدها، تركتها في مكان ما قرب المخاضة، لماذا؟

الآن، وقد طرح السؤال، بدأت تتساءل لماذا سألته. أشاحت بوجهها عنه، وكتفاها محنيتان..

ـ دون سبب.. كنت أتساءل.. هذا كل شيء.

ابتسم جايستن آمراً:

ـ عليك أن ترتاحي قليلاً فلدينا ضيوف على العشاء الليلة، ويجب أن تكوني في أفضل حال، أليس كذلك؟

دون سبب ظاهر، تلك الملاحظة أثرت بشكل غريب على أعصابها، فصاحت، قبل أن تهرب إلى الباب:

ـ أووه.. اذهب إلى الجحيم!

وأغلقت الباب بقوة.. مما دفع برأس أسود الشعر إلى الخروج من باب المطبخ، إنها جوليا.. التي أخذت تنظر باستغراب إلى الردهة.

ـ ما الذي حدث لك مايسي؟ هل وقعت عن السلم؟

ردت مايسي مكشرة:

ـ لا.. وإنما وقعت في النهر!

ـ المخاضة! مايسي! كدت تغرقين؟

عبست مجدداً:

ـ هذا ما قيل لي.. مع أنني لم أعد بحاجة لهذه المعلومات بعد أن اختبرت ذلك التيار بنفسي.

ابتسمت جوليا:

ـ من تعابير وجهك، لست بحاجة لأن أعرف من القائل.. خاصة وأنني أعرف أن جايستن قد عاد.

هزت مايسي رأسها:

ـ هه! إنه جايستن الذي عاد من بريزبن وأنقذني من الغرق.

ـ أهو من صفق الباب بقوة؟

ضحكت مايسي:

ـ كم أنت دقيقة الملاحظة! والآن قولي لي، متى وصل؟ فأنا لم

أسمع صوت الطائرة.

- بعد الغداء بقليل ولقد عاد مع أسرة براون، لهذا لم تسمعي صوت الطائرة.. جاء إلى هنا بالسيارة.

- وماذا حدث لطائرته؟

- تقول لودي إن شقيقه جيرارد سيأتي فيها غداً مع عائلته، لذ تركها في بريزبن، وعاد مع السيد براون.. أتريدين معرفة شيء آخر؟

- أجل.. من هم ضيوف جايستن على العشاء؟ أتعرفين؟

نظرت جوليا حولها وقالت:

- طبعاً.. إنها الآنسة آيمي مورتون.. صديقة السيد الدائمة، وشقيقها، مع بضعة أصدقاء يعيشون في الجوار.. حوالى الثمانية على ما أظن.. لودي وأنا نعمل بجهد كبير.. آه.. لقد تذكرت.. يجب أن أعود لأساعد لودي، لا يمكنني تركها تنهي كل شيء لوحدها.. على فكرة، أنا وغاي سنذهب إلى منزل جون هذا المساء، فهل تأتين معنا؟

هزت مايسي رأسها بأسف وقالت:

- من الأفضل أن لا أذهب هذه المرة.. شكراً جوليا.. ربما في وقت آخر.

- حسناً جداً.. سنتذكر هذا مستقبلاً.

في غرفتها أخذت مايسي حمّاماً دافئاً.. بعدها وضعت مرهماً ملطفاً على خدها واسلقت على الفراش لتفعل ما قيل لها، وتستريح.. لكنها لم تكن معتادة على النوم نهاراً، وتقلبت دون ارتياح في فراشها لنصف ساعة، قبل الخروج إلى الشرفة. ورأت جايستن وغاي يتحدثان أمام سقيفة الماكينات ومن ثم انضم ببلي راميرت إليهما..

ظهور جايستن غير المتوقع جعل مايسي تستعيد ما حصل لها بعد الظهر، لا سيما ذاك التعليق حول ظهورها بأفضل حال أمام ضيوفه الليلة، لكن، لم يكن هناك أي ازدراء أو وخز في كلامه.. بل أنه ذكر

هذا على سبيل المزاح. أيمكن أن يكون، أخيراً، قد بدأ يدرك تماماً أنه مخطىء بحقها؟

وبمنطق تحولت إلى النقطة التالية.. ضيوفه الذين سيصلون الليلة.. وأهمهم آيمي.. ماذا دعتها جوليا؟ فتاته الدائمة؟ فهل يعني هذا أنها واحدة من تلك العلاقات العابرة أو أن الآنسة مورتون هي على رأس لائحة الزواج المدبر؟ فجايستن قادر على اختيار فتاته في أي وقت يشاء، وعدم ارتباطه بأي فتاة يبرهن على أنه سمكة يصعب صيدها.. ربما لهذا السبب أصبحت آيمي مورتون «دائمة» وربما لأنها لم تحصل بعد على الطعم الملائم.. كما أشارت سوزان.

على أي حال جايستن غراهام وأصدقاؤه بعيدون جداً عن طبقتها، وما من شك أنهم قادرون على الاهتمام بشؤونهم دون تدخل منها. إنها موظفة كمرافقة لمارتا، وسكرتيرة لجزء من الوقت، لا شيء غير هذا، ومن الأفضل لها أن لا تتدخل..

للعشاء تلك الليلة، ارتدت مايسي تنورة خضراء اللون طويلة بعض الشيء متناسقة مع بلوزة بيضاء اللون بدون أكمام ووضعت غطاء ثقيلاً من الماكياج، نجح إلى حد بعيد في إخفاء بعض الخدوش على وجهها، ومن ثم شدّت شعرها إلى الخلف.. دون أن تنسى تعليق جايستن «مرة أخرى.. ذاك الشعر الأعين».

سمعت من بعيد أصوات ضحكات، وأحست فجأة بالكره لفكرة العشاء هذه الليلة... طريقة حياة هؤلاء الناس بعيدة عن نمط حياتها المتواضع.

وفجأة لمحت صورتها في المرآة، وبدأت بالضحك عالياً.. وقالت لنفسها: إذا لم تنتبهي فتاتي، ستجدين نفسك مليئة بالحسد.. ماذا لو كان معهم المال.. فالمال كما يقال لا يشتري السعادة.. والنقص في المال أيضاً ليس مطلباً ضرورياً للحصول على السعادة! إنها وجوليا سافرتا لرؤية كيف يعيش النصف الآخر من المجتمع..

حسناً.. هذا ما تفعله بكل تأكيد.. لذا، فمن الأفضل لها أن تتمتع بذلك..

بعد بضع دقائق دخلت غرفة مارتا لتجدها وقد ارتدت فستاناً حريرياً رائعاً وحول عنقها عقد من اللآلىء خطف أنفاسها.

نظرت مارتا بإعجاب إلى ملابس مرافقتها الشابة، لكن ما إن استقر نظرها على وجهها المحمر حتى ضاقت عيناها، وسألت مقطبة:

ـ ماذا فعلت بوجهك؟

استغرق شرح الأمر دقائق من مايسي، حيث أخذت تسرد بحذر بعض التفاصيل البعيدة عما حدث فعلاً، فقالت مارتا بخشونة:

ـ وكأنما لا يكفينا غرق واحد من أسرتك هناك!

ومدّت يدها إلى البشرة الناعمة قائلة:

ـ لديك وجه جميل مايسي، من ينظر إليه يشعر بالسعادة.. فاعتني به جيداً في المستقبل.

وبما أن مايسي لم تكن قد اعتادت بعد على صراحة مارتا، سألتها في محاولة منها للتخفيف من إطرائها المتطرف:

ـ وهل هذا يعني أن مظهري هو الشيء الوحيد الذي يشفع لي؟

أجابتها مارتا بحدة:

ـ لا تكوني سخيفة يا فتاة! فلست غبية كي لا أعرف أنك تملكين دماغاً ذكياً في هذا الرأس الجميل.. وقلباً ناصع البياض داخل هذا الجسد الأنثوي المكتمل!

ورأت مايسي أن من الحكمة أن تترك المسألة ترتاح هنا قبل أن تتاح الفرصة لمارتا لأن تتحمس للموضوع.

لكن حين نزلتا السلم إلى الصالون بدا لمايسي وكأنهما تقتربان من بحر من الوجوه، فالجميع استدار ليراقبهما، ودون إرادة منها نظرت إلى جايستن، وكأنها تسعى لرضاه.. لكن لماذا، إنها لا تدري، على أي حال كانت نظرته إليها لطيفة تماماً، وبعد تقديمات مارتا لها، بدأت

بدراسة المجموعة من موقعها، وهي تحتسي دون وعي كوب العصير الذي أعطاه جايستن لها.

في العديد من الأوجه، كان هناك تشابه بين الجميع. الثياب الحديثة الطراز الفخمة دون شك، الحذلقة والحنكة، والثقة بالنفس، لكن حين يصل الأمر إلى الشخصيات المنفردة، يتبدد التشابه.

ومن الطبيعي، أو هكذا أقنعت مايسي نفسها، أن تكون آيمي مورتون أول موضوع لدراستها.. كانت فتاة شديدة الطول، في أواخر العشرين من عمرها، ولسوء الحظ، سمينة بعض الشيء، مما يعطيها مظهراً خشناً لولا فستانها الحريري الأزرق. بينما ماكياجها البسيط، وشعرها الأشقر يثيران الاهتمام أكثر من جسدها. العينان الكحليتان الواسعتان، كانتا تعكسان اللون الأزرق وهذا ما تشاركه، كما لاحظت مايسي، مع شقيقها هال، والفم الواسع المدهون بأحمر شفاه براق متجه إلى الأسفل، وبدا لمايسي أن آيمي تعتبر وجود مرافقة مارتا الجديدة، أقل من مستواها لأن تعترف به.

على أي حال هي على عكس أخاها، الذي كان أصغر منها بحوالي السنتين، بنفس الطول والبنية، في عينيه الشاحبتين قليلاً دعوة مفتوحة، لم تجدها مايسي منفرة فقط، بل وعدائية أيضاً.

ليز وغاس براون زوجان مفعمان بالحيوية، وقد أحبتهما مايسي من كل قلبها، لا سيما تلك المرأة «ليز» التي كانت عيناها تلمعان وهي تسرد آخر أخبار ابنتها الشابة ممّا أضحك الجميع.. ما عدا آيمي، التي سمحت لنفسها فقط بالتواء غير عادي من شفتين رفيعتين، بينما بقيت عيناها ببرودة الثلج. واضح أن آيمي لم تكن مهتمة بمغامرات غابريل براون، مما دفع مايسي للشك فيما إذا كانت آيمي أصلاً تحب الأولاد.

الزوجان الآخران كانا أسرتا لاينوود وسالاين في أواخر الثلاثين من عمرهم ويبدو أنهم كانوا يعانون أيضاً من نفس المشكلة التي كانت تعاني منها غابريل.

احتست مايسي آخر ما في كأسها، ووضعته فارغاً على طاولة قريبة، لتجد نفسها بعد بضع لحظات، تتبع الآخرين، وهال إلى جانبها، بينما يرافق جايستن جدته، إلى غرفة الطعام.. جلست مايسي كعادتها إلى جانب مارتا، وهال إلى جانبها أيضاً وقبل انتهاء الطبق الأول ومن حيث لا تعلم مال إليها وقال بصوت مرتفع ليسمعه الجميع:

ـ أعرف من أنت! أظن أنني رأيت وجهك من قبل! أنت الفتاة التي تظهر بالمايوه على شاشة التلفزيون.. وتغري كل الرجال على الشاطىء! أراهن أنك أُحرجت في تصوير هذه اللقطات! أليس كذلك؟..

وضحك بصوت أجش.

نار محرقة لفت مايسي، سببها جزئياً الإحراج الكلّي لمعرفتها بأن هال تحدث بصوت مرتفع بما يكفي لجذب اهتمام المجموعة كلها.. والجزء الآخر لتصاعد حدة غضبها..

تغري! لم تصدق أنه فسّر الدعاية بهذه الطريقة.. لقد صورت الدعاية على الشاطىء لأجل الشمس، والرمل، والبحر. وليس لإغواء الرجل، كما يصورها!

قالت آيمي بازدراء:

ـ أوه.. التلفزيون.. وماذا تتوقع غير هذا؟

وصلت أعصاب مايسي إلى مركز التوتر الميت، وبنفس عميق، واجهت هال بجرأة:

ـ لو كانت الدعاية مغرية كما تزعم وتقول لمّ مرّت عبر مجلس الرقابة.. فالدعاية صورت على الشاطىء. وهذا ما يفسر ارتدائي البيكيني..

هذه المرة، لم تزعج نفسها في إخفاء الاحتقار من صوتها:

ـ وحتى الآن لم يلاحقني مفتش آداب الشواطىء.

ضحك كيرك براون، وعلق قائلاً:

ـ ربما لأن المفتش مشغول برؤية المناظر الجميلة.

التفتت نحو كيرك، ورد آخر ساخن على شفتيها.. لأنها لن تترك هؤلاء المتخمين مالاً، أفراد الطبقة الأرستقراطية، يستخدمونها كهدف لتسليتهم.. لكن برؤيتها لابتسامته اللطيفة تلاشى غضبها، وأدركت أنه كان يعني الإطراء بملاحظته وليس السخرية.

وسط الضحك الذي لف المائدة، بدا صوت آيمي أعلى وأكثر حدة.

ـ أوه.. أعتقد أن بعض الفتيات يرغبن حقاً بارتداء البيكيني.

قالت مايسي ساخطة:

ـ أجل.. البعض منهن يفعلن هذا بكل تأكيد.

ونظرت إلى آيمي نظرة تقييم من رأسها إلى حيث سمحت به الطاولة، ثم إلى فوق مجدداً.. وأخذت تفكر بعمق.. لو كان لها جسد كجسد آيمي، فهي لن ترتدي البيكيني على الإطلاق.

لكن آيمي لم تفتها السخرية المهينة أبداً. لون زهري قاتم، وجد طريقه إلى خديها، مما جعل عينيها تبدوان أكثر شحوباً عبر المفرش الأبيض.. وإذا لم تكن آيمي عدوة قبل الآن.. فهي لا شك أصبحت منذ الآن! وبينما كان الجميع يتناولون الحلوى كلمها هال مباشرة:

ـ آسف مايسي لما حدث.

وأمسك يدها قائلاً:

ـ ولكي تصدقي ذلك ما رأيك لو أريك الحديقة في ضوء القمر؟

بابتسامة مهذبة، وهذا كل ما تستطيعه، جذبت يدها منه، لكن، قبل أن تعتذر لعدم رغبتها في قبول دعوته قال جايستن من الطرف الآخر للمائدة:

ـ لما لا تأخذ مايسي إلى المتحف هال؟ قد تحب أن ترى الصور القديمة للباحثين عن الذهب في النهر..

وبابتسامة مزعجة أضاف:

ـ فمايسي مغرمة بالبحث عن الذهب.. أليس كذلك مايسي؟

بكل تأكيد، أول كلمات يوجهها جايستن إليها ذلك المساء، يجب أن تكون هكذا.. وكان عليها أن تعرف هذا!.. وإذا كان يظن أنه سيحصل على انتقامه، بدفعها إلى مخالب هال البغيضة، فعليه التفكير مرة أخرى!

لذا كان من دواعي سرورها أن تمكنت من الابتسام له وهي تتلمس الميدالية حول عنقها دون وعي منها:

ـ لقد أرتني مارتا المتحف، شكراً لك جايستن، ولقد بدأت بمجموعتي الخاصة.

لكن هال قال متشوقاً بلهجة محبطة:

ـ بالتأكيد لم تري كل شيء مايسي.. أنا أعرف المكان جيداً.

تدخلت مارتا متحدية:

ـ ليس كما أعرفه أنا.. إضافة إلى هذا، مايسي هي مرافقتي.. وسأحتاج إليها هذا المساء.. لذا، بإمكانك أن تنسى أي نزهة في ضوء القمر مع إمساك البدين، هال مورتون، فأنا لا أشعر بصحة جيدة وقد أحتاجها في أي وقت..

نظر جايستن ومايسي إلى مارتا باستغراب.. فهي لم تذكر من قبل أنها لا تشعر بصحة جيدة. لكن جايستن أخذ ينظر إليها إلى أن لمعت عيناه الرماديتان.. مارتا تقف إلى جانب مرافقتها، كالقطة التي تدافع عن صغارها.. ومع ذلك لم يبدُ جايستن متراجعاً أمام اكتشافه هذا..

وبينما هم ينتقلون إلى غرفة الاستقبال لتناول القهوة، وتحت ستار الاهتمام بصحة مارتا أمام الضيوف، أمسك جايستن ذراع مايسي بخشونة وأدارها بقوة لتواجهه..

ـ بدأت تجمعين مجموعتك الخاصة.. أليس كذلك مايسي؟ ما الذي أقنعت به مارتا لتعطيه لك؟ أولاً الوظيفة ثم.. هذه؟

وأمسك بالميدالية التي تزّين عنقها، فردت بسرعة بعد دهشة

قصيرة:

ـ لا! لم أفعل هذا! وأنا لم أقنع مارتا بتوظيفي، لقد صدقت كل ما قلته لها عند مقابلتنا.

ـ ولن أشك في هذا لحظة واحدة.. لكن إذا لم تعطك مارتا الميدالية.. فمن أين حصلت عليها؟

لاحظت أنه قال «من أين حصلت عليها؟» وليس «من أعطاها لك؟» دائماً يظن بها الأسوأ؟ ألن يثق بها أبداً؟ لا شك أنه يخلط بينها وبين قطعة مجوهرات أخرى.. وتساءلت لما يبدو هذا مهماً له.. وتنهدت قائلة:

ـ من أبي..

فتح قبضته قليلاً ليتفحص الحفر الموجود على الميدالية الذهبية، وهي تلمع في يده، ثم وبسرعة مماثلة التفت يده عليها مرة أخرى:

ـ لا أصدق هذا مايسي.. فوالدك لا يمكنه أن يشتري لك هذه.. إنها قطعة من مجوهرات غراهام.

ـ لم تعد كذلك!

أمسكت يده القاسية ذقنها، وشدّتها بقوة بحيث لم يعد لديها خيار سوى النظر إليه.. وقال:

ـ إذن.. أعطتك إياها مارتا.. فلماذا تكذبين؟ وهل تصورت أنني لن أكتشف الأمر؟

ـ أنا لم أكذب.. مارتا لم تعطني إياها.. لقد وصلتني من شخص آخر من أسرة غراهام.

ـ وصلتك من...

ترك ذقنها والميدالية، لكن يداه استقرّتا بشدة على كتفيها:

ـ إذا لم تتوقفي عن الكلام المزدوج المعنى، حلوتي، تأكدي من أنك ستحصلين على أكبر هزة حصلت عليها في حياتك.. والآن قولي.. ميدالية من هذه؟

ـ إنها لي.. أوه.. حسن جداً.. إذا كان يجب أن تعرف.. إنها لفيليستي.. فيليستي غراهام.. أعطتها لميتلاند الأحمر. انظر..

أمسكت بالمعدن الثمين، وأرته الكتابة على الجهة الأخرى.. للحظات خلت انحنى ليتفحص الحفر، ثم استقام ببطء، وعيناه تدينان لمايسي باعتذار عميق.

ـ إذن.. هناك واحدة أخرى.. لطالما اعتقدنا بوجودها.. لكننا لم نتمكن من إيجادها.. أنا آسف لأنني اتهمتك بخداع مارتا.. فهي تملك واحدة أيضاً... لكن الإهداء مختلف.. تلك أعطاها الأحمر لفيليستي.. من الواضح جداً أنهما كانا متفاهمان.

الآن فهمت مايسي سبب اهتمامه بميداليتها الصغيرة، وبدون وعي منها مدّت يدها إلى السلسلة لتفكّها وقالت مقترحة:

ـ في هذه الحالة.. من الأفضل أن تبقيا معاً.

ابتسم لنبل عواطفها وهز رأسه قائلاً:

ـ لا.. فهذه ملك لعائلتك، كما الأخرى ملك لعائلتي.. والأكثر من هذا أن ميداليتك تتمتع بموقع أكثر أهمية من ميدالية مارتا.. فتلك موجودة فقط فوق قماش مخملي.

احمرّت وجنتا مايسي من هذا الإطراء المثير.. وأخذت تبتلع ريقها بصعوبة وهو ينظر إليها.. ولكي تخفي توترها مدّت يدها في محاولة منها لإعادة الميدالية إلى مكانها.

ـ جايستن! هيّا حبيبي.. فالقهوة ستبرد.

إنها آيمي.. تنهدت مايسي للمقاطعة، التي أنقذتها من الرد على تعليق جايستن، وغادرت الغرفة..

لما تبقى من السهرة، كان وقت مايسي منقسم ما بين حديث ممتع مع ليز براون، وميراي سالاين، وبين صد محاولات هال غير المرغوب فيها.

كان يحاول إقناعها، وعيناه تنظران إليها بكل وقاحة:

ـ لنفترض أنني زرتك في الصباح الباكر، ألا تأتين معي في نزهة صغيرة..

وللمرة التي فقدت عدها، هزت رأسها بضجر:

ـ آسفة هال، أنا لست ضيفة هنا.. وليس لدي وقت فراغ في الغد.. وكما تعرف، فشقيق جايستن وعائلته سيصلون في الصباح الباكر، وربما في يوم آخر.

لكن هال لم يكن مستعداً للتراجع بسهولة:

ـ إذن، متى يوم عطلتك؟

بابتسامة جافة، تساءلت مايسي: لما لا يتعلم مورتون أبداً أن يتقبل الهزيمة بلباقة.. أم أنه حقاً يؤمن بأن ماله يسمح له أن يتصرف وكأنه هبة من السماء للنساء؟

ـ حين لا يحتاجني جايستن أو مارتا.. فنادراً ما أحصل على بضع ساعات، من هنا وهناك.. لذا لا أستطيع أن أعرف إلا قبل بضع دقائق..

ـ لكن هذه ليست طريقة لائقة لمعاملة موظف.. سأتكلم مع جايستن بهذا الشأن..

يا له من وقح! أي شخص يسمعه، قد يظنه يهتم بساعات عملها، بدلاً من الاهتمام بخططه الشائنة. لما لا يهتم بشؤونه الخاصة ويتركها وشأنها هي تستطيع أن تتصور جيداً ما سيكون رد فعل جايستن على تلميح هال.. إنها ليست راضية عن ساعات عملها.. ولسوف يلزمها الكثير من اللف والدوران لتخرج من هذه الورطة.

بعينين منخفضتين، خوفاً من أن يرى هال لمعان الغضب فيهما، هزت مايسي رأسها دون ارتباح، وتوسلت:

ـ أوه.. لا.. لا تفعل هذا أرجوك. قد يظن جايستن أنني لا أريد عملي.. أو الأسوأ من هذا.. قد يطردني.

صاح بلهجة صبيانية لإفساد خططه:

ـ ولكن هذا ظلم.. كيف سأراك إذن؟

فكرة مفاجئة خطرت ببالها.

ـ ربما أتصل بك.. في وقت ما أكون فيه حرة لبعض الوقت.

وهذا بالطبع لن يكون أبداً. لا شيء في الدنيا يقنعها بأن تتصل به، وتقترح اللقاء.. لكنه لن يعرف هذا، ومع قليل من الحظ، سيتعب من الانتظار، ويجد لنفسه فتاة أخرى غيرها.

أخيراً استسلم هال، ولو على مضض، واقتنع أن هذه أفضل وسيلة بقيت له في الظروف الراهنة، وأن ما أظهرته مايسي من ارتياح هو لتسلية نفسها على خسارتها لصحبته.. وهكذا تركها مع مارتا على انصوفا.

بالكاد تهاوت مايسي إلى الوراء مرهقة حين مالت مارتا نحوها تطلب منها مساعدتها للصعود إلى غرفتها. وبسرور، وقفت مايسي لتساعد مارتا.. بعد الوداع، والوصول إلى غرفة النوم، قالت رأس الأسرة:

ـ أنت لم ترغبي حقاً في الذهاب إلى المتحف مع هال.. صحيح؟

ودون وعي منها صاحت مايسي قائلة:

ـ لا سمح الله!

ثم نظرت إلى مارتا بإحباط.. ربما ما كان يجب أن تكون متحمسة هكذا في إبداء رأيها بضيوف العائلة، وبدأت تعتذر:

ـ آسفة مارتا..

ـ ولمَ الأسف مايسي..

ـ ظننت نفسي ارتكبت خطأ فادحاً.. فهل سمعت ما كان يقوله لي في غرفة الاستقبال؟

هزت مارتا رأسها وقالت:

ـ بالطبع سمعت.. ومن واجبي الاهتمام بك.. ففكرتك بأن تتصلي به كانت رائعة.. لكن، هل حقاً وقت فراغك سيء إلى هذه

الدرجة مايسي؟ ربما يجب أن أكلم جايستن بالأمر.

ـ أوه لا.. مارتا.. ليس أنت أيضاً! لم أكن أتذمر.. يناسبني تماماً ما أنا عليه، ولا أحتاج إلى المزيد.. فأمامي الكثير من الوقت لكل ما أريد أن أفعله.

ـ لكن ما قاله هال كان صحيحاً.. فهذا غير عادل.. ويجب أن يكون لك يوم عطلة كامل. أخشى أنني كنت أنانية جداً مايسي..

ـ أرجوك مارتا، لا تقولي شيئاً لجايستن.

ـ حسن جداً.. ما دمت لا ترغبين.. لكنني سأعطيك يوم عطلة.. ليس في الغد ربما اليوم الذي يليه. أجل.. هكذا. بإمكانك أخذ يوم الجمعة بالكامل.

إن أرادت هذا أم لا، لن تعمل يوم الجمعة! لقد أصدرت مارتا القرار! وعليها أن تنفذ..

ورأت مارتا نظرة الارتياك على وجه مايسي فأكملت قائلة:

ـ يجب أن أعلم جايستن أنك لن تعملي يوم الجمعة فلا تقلقي. سأقول له إنني أرسلتك إلى «وست سبرنغز» للتبضع مع أنني لا أرى شيئاً يمنعني من أن أكلمه بالأمر، أؤكد لك أنه سيوافق على ذلك..

ـ ربما.. لكنك تعرفين مسبقاً رأي جايستن بي.. ولنقل إنني لا أريد صب الزيت على النار.

ـ عزراء يا فتاة.. لماذا؟

ـ مارتا.. أرجوك!

ـ حسناً.. إذا كان هذا ما تريدين.. والآن ساعديني في نزع هذه الملابس..

بعد مساعدتها لمارتا قدر استطاعتها، عادت مايسي إلى غرفتها لتستريح قليلاً.. وبعد حوالي الساعتين سمعت مايسي أصوات الضيوف وهم يتحركون نحو سياراتهم. ممّا دفعها إلى التساؤل: هل ستذهب آيمي مع شقيقها.. أم أن جايستن سيوصلها بنفسه، وفكرة أنه

www.liilas.com/vb3

سيوصلها، آلمتها كثيراً.. فانقلبت على جنبها الآخر وأغمضت عينيها بقوة.. لتركز على انتظار فارس أحلامها الذي سيأتي ليحتضنها بين ذراعيه..

* * *

٧ ـ ضائعة في عينيه

كما كان متوقعاً وصل جيرارد وجيل غراهام مع ولديهما الصغيرين في الصباح التالي.. جيرارد في الثانية والثلاثين من عمره، طويل القامة، بني الشعر، أزرق العينين.. إنه نسخة ثانية عن جدته.. يحب زوجته الشقراء كثيراً وفخور جداً أن يكون أبا طفل في السادسة، واسمه دايف، وفتاة محببة مثله في الرابعة من عمرها واسمها انجيل.

ما إن قفز الولدان من السيارة حتى ركضا في الردهة نحو المكتبة يبحثان عن الجدة. لاحظت مايسي ذلك وهي تشهد الفرح القلبي الغامر الذي أظهره الولدان لجمع شملهما مع العجوز.. وتبع هذا أصوات ترحيب أخرى من الردهة.

ـ جايستن حبيبي! لا زلت وسيماً كما أنت.. ولا زلت تتمسك بعزوبيتك. رائع أن أراك مجدداً.

رد جايستن ضاحكاً:

ـ وأنت كذلك جيل. لا زلت وقحة كما أنت.. ألا تحترمين الأكبر منك سناً؟ يجب أن تتعلمي من ابنتك.. فانظري إليها كيف تتصرف..

رد صوت ضاحك آخر إنه صوت جيرارد:

ـ لا تقل هذا يا بني.. لقد بدأنا نشك في أننا أطلقنا عليها الاسم الخطأ ونفكر في تغييره إلى شيطانة، بدلاً من معناه الأصلي «ملاك».

قال جايستن:

فراشة المحبة

ـ لا عجب في هذا، فهي وريثة أمها، على ما أعتقد!

تعالت ضحكة جيل المجلجلة:

ـ أوه.. هذا ظلم جايستن، وغير عادل! لما لم تعط أسرة غراهام بعض الفضل؟ على أي حال، أنا لم أحمل بها دون مساعدة.

قال جايستن بخشونة:

ـ انظري إلى جيرارد وأنت تقولين هذا، وليس إليّ.

وانفجر الثلاثة بالضحك..

شدت أنجيل على تنورة أمها، ترافقها صيحة مرتفعة:

ـ مامي.. مامي! تعالي لتري جدتي.

ولحق الكبار الثلاثة بالدليل الصغير إلى المكتبة.. وبعد السلام قدّمت مارتا لهم مايسي.. فهمس جيرارد لأخيه:

ـ آه.. ما هذه.. إنها في غاية الجمال.. كيف حصلت عليها يا رجل؟

علت البسمة شفتي مايسي لإطراءه المبالغ، لكن جيرارد لم يكن قد انتهى بعد، فأكمل قائلاً:

ـ لكن، لا يجب أن تبقيها هنا هكذا، فلن يفيدك هذا يا بنيّ.. صحيح مايسي؟

لم تستطع مايسي إلا أن تردّ عليه فقالت:

ـ على أي حال سأبقى لثلاثة أشهر.. أليس كذلك جايستن؟

ـ هذا ما يقوله العقد.

أجاب بسخرية مطلقة ودون احترام.. فقالت جيل متعاطفة:

ـ إنه خدش كريه المنظر على خدك، مايسي. أنت لم تصطدمي بباب المطبخ المتحرك.. صحيح؟

ضحكت مايسي:

ـ لا.. فأنا..

قاطعها جايستن مكمّلاً:

ـ لقد وقعت في مخاضة النهر، حيث جرفتها المياه المتدفقة.. لكن مايسي كانت أكثر حظاً من سلفها.. فقد نجت مع بعض الرضوض والخدوش فقط.

طغى على وجه جيرارد الحيرة.. ثم قال:

ـ سلفها؟ أكثر حظاً؟.. أوه.. طبعاً.. ميتلاند! الأحمر! لماذا لم أفكر به من قبل؟ خاصة بشعرها الأحمر.. أكنت تعلمين أن الأحمر كان يعمل هنا قبل أن تأتي إلى المنطقة؟ أم أن الأمر مجرّد صدفة؟

ـ أجل.. كنت أعلم أن الأحمر كان يعمل هنا، لكننا لم نكن نعرف أنا وصديقتي جولبا التي تعمل مع لودي في المطبخ، أننا سنعمل هنا كذلك. لقد خططنا أن نلقي نظرة على المنطقة ومن ثم نتحرك إلى مكان آخر.. لكن..

وصمتت.. عندها لم يستطع جيرارد أن يخلص نفسه من الذهول لما آلت إليه الأمور:

ـ تصوروا هذا!

ارتجفت جيل:

ـ بل تصوروا الوقوع في النهر! أنا مكانك مايسي ما كنت لأنجو.. حتماً كنت سأموت خوفاً..

ـ وكان يمكن أن لا أنجو أنا كذلك.. لولا أن جايستن أنقذني.

قالت جيل، تبتسم لأخ زوجها بمكر:

ـ لقد فعل خيراً.. وأتصوره وقد اختار أجمل الكلمات ليقولها لك بعد أن أخرجك من الماء.. فهو عادة لا يتراجع في إخبارك بما يفكر، أليس كذلك جايستن؟

رد مبتسماً:

ـ لا أتحمل أن أكون مع شخص لا يشعر بالخجل مثلك.

خاطبت مايسي نفسها قائلة: ولا يطيق أن يكون معي أيضاً.. إنه يجعل ما يفكر به واضحاً جداً.. لكنه مخطىء على أي حال.

مخطىء.. مخطىء..

في هذا الوقت أصبح الولدان قلقين لا يهدءان.. فاقترحت مارتا اقتراحاً نال الموافقة الفورية:

- لما لا تذهبان لرؤية لودي في المطبخ؟ قد تسكب لكما كوب حليب، وبعض الحلوى اللذيذة..

وقف دايف كلمح البصر: شكراً جدتي.

وأصبح عند الباب وأنجيل تلحق به.

يبدو أن الطفلان كان لهما الوقت الكافي ليستكشفا المكان والأشخاص الذين يتذكرونهم من زيارات سابقة، بينما جيل وجيرارد كانا يجذبان اهتمام الكبار في المنزل بأخبارهما المسلية.

وفي صباح اليوم التالي قالت مارتا لمايسي:

- اذهبي إلى «ويست سبرنغز» وتمتعي بيوم راحة، ستراك عند العشاء هذا المساء.. لا تقلقي بشأني.. ستهتم جيل بي.

لكن مايسي لم تكن راغبة في الذهاب إلى «ويست سبرنغز» في يوم حارّ كهذا، وليس هناك أي شيء مهم تحتاج إلى شراءه فصعدت إلى غرفتها تفتش في درج خزانتها.. ستذهب لتسبح..

وهكذا ارتدت البيكيني ذو اللونين الأخضر والأصفر، فوقه جبر قديم وبلوز ضيقة.. ومع منشفة بحر ملونة فوق كتفها نزلت السلم وتقدمت نحو المطبخ، لتطلب من لودي تحضير الطعام لها.

لم تصل سوى إلى الأبواب المتحركة، حين سمعت أصواتاً قادمة من الشرفة الأمامية.. ونظرت لترى من هناك، فرأت آيمي تصعد السلم الأمامي مع جابسن، يداً بيد.. وهال يلحق بهما.. فما كان منها إلا أن لاذت بالفرار، وعندما أصبحت خارجاً توقفت عند البوابة الحديدية لتستعيد أنفاسها بعد أن توقف قلبها عن الخفقان فأخذت تضحك بهدوء.. كان هذا خلاصاً صعباً!

لكن صوتاً غريباً جعلها تستدير خائفة.

- أتعرفين ما يقال: من علامات الجنون، الضحك لوحدك.

وبارتياح كبير لرؤيتها جون ابتسمت له وقالت:

- أوه.. أخفتني جون.. لقد هربت لتوي من طريق هال مورتون، وظننت أنه وجدني!

دفع قبعته إلى الوراء، وتراقصت عيناه بتفهم:

- لا ألومك على الهرب من هال.. لكن، لا يمكنك البقاء هنا طوال اليوم. ألن تبحث عنك مارتا أو جابستن؟

هزت رأسها:

- أنا في عطلة طوال هذا اليوم.. وهذا ما يقلقني لو اكتشف هال هذا!

- في هذه الحال، يجب أن نفعل شيئاً، أليس كذلك؟.. وأنا كذلك لديّ عطلة حيث تبادلت عطلة الأحد مع غابي. وكنت على وشك الذهاب إلى النهر لأتصيد السمك وأسبح. فهل تأتين معي؟

لم تصدق مايسي حظها:

- هل تذهب؟ أجل.. أرجوك!

ونظرت إلى المنزل من فوق كتفها وأكملت:

- أوه.. يا إلهي.. ها هو الآن.. وهو قادم إلى هنا.. أيمكن أن تذهب في الحال جون؟ قل أجل.. أرجوك.

- أجل جميلتي.. تعالي من هنا.

وضع يديه تحت ذراعيها وحملها بسرعة من فوق السياج، ثم، يداً بيد، ركضا معاً نحو سقيفة الماكينات.. هناك توقفا لحظة لأنهما كانا يضحكان أكثر من قدرتهما على الاستمرار.. واستندت مايسي على الجدار الحديدي، تقول شاهقة:

- وكأننا في فيلم سينمائي.. أليس كذلك؟ الطيبون يهربون من الأشرار. كم أتمنى لو أقول له أن يغرب عن وجهي.. لكن كونه ضيف مرحب به، فالعاقبة لن تكون جيدة لو فعلت.

هز جون رأسه بأسى:

ـ أنت محقة.. فمن الأفضل أن نذهب الآن. وإلا سيلقي الأشرار القبض على الطبيبين.. هيا أسرعي، الدراجة هناك.

نظرت حولها وسألت:

ـ دراجة هوائية؟

ـ لا يا بلهاء.. إنها دراجة نارية سهلة التنقل.. فهل ركبت على إحداها من قبل؟

ردت بارتباك:

ـ لا

ـ إذن لا تقلقي، هيا.. اجلسي خلفي وتمسكي بي، وسنصل النهر في وقت قصير.

وفعلت مايسي ما طلب منها جون.. كانت الدراجة تسرع فوق الأرض.. والنسيم العليل يداعب وجهها والشعر المسترسل على الكتفين.. فأحست مايسي بالإثارة للقوة المنطلقة تحتها، وهما يمران بين الأشجار والصخور.. إنها طريقة رائعة للتفرج على الأراضي الريفية. وأخيراً وصلا النهر.. كانت الشمس شديدة الحرارة، بينما المياه باردة منعشة، تصيدا السمك ثم سبحا. بعد ذلك شوى جون ما اصطاده في مقلاة قديمة جاء بها معه.. ووضعت مايسي إبريقاً من الشاي الأسود المنعش مع أوراق الصمغ لزيادة النكهة على النار.. بعد تناول الطعام استلقيا برضى في الظل يراقبان الأشكال التي كانت تصنعها الشمس عبر أوراق الشجر وابتسمت مايسي لنفسها.. لا شك أن مارتا سترضى لأنها مرتاحة، ومارانـدو، بكل من فيها بعيدة عن تفكيرها.

بعد الظهر سبحا مرة أخرى، ثم أعطيا لنفسيهما بعض الوقت لتجفيف ثياب السباحة قبل أن يرتديا ملابسهما الخارجية، ويلملما الأدوات التي استخدماها للطعام.. ومن ثم أخمدا النار كيلا تشتعل

مرة أخرى لدى تحرك الهواء.

طريق مختصرة فوق ممرات وعرة أوصلتهما في النهاية إلى سفيفة الماكينات.. وبخفة قفزت مايسي عن الدراجة وقالت مبتسمة:

ـ شكراً لك جون. أمضيت وقتاً طيباً برفقتك.

ابتسم جون، وطبع قبلة أخوية على جبينها:

ـ أنا أيضاً جميلتي.. وأتمنى أن يتكرّر هذا.. فأنت رفيقة جيدة مايسي.

ـ مايسي!

أحدهم يناديها.. ونظرت باتجاه الصوت لتجد جايستن يتقدم بعدائية نحو السياج، فارتفع حاجباها:

ـ هاقد عدنا مجدداً..! أتساءل ماذا يفترض أنني فعلت الآن. كنت أظن أن غيابي عن المنزل طوال اليوم سيخفف من ارتكاب الأخطاء.

سألها جون:

ـ وهل ترتكبين الكثير من الأخطاء؟

ـ قد تفاجأ! بالنسبة لجايستن لا أجيد القيام بشيء..

ـ وهذا ما يفاجئني.. لطالما وجدت جايستن سهل التعامل.

ـ مايسي!

الصوت كان أقل عدائية بدرجة أو درجتين فقط. دفعت مايسي شعرها إلى الوراء، وودعت جون بسرعة، ومع منشفتها المتدلية على كتفيها، تقدمت على مضض للقاء جايستن عند البوابة.. ولم تضطر إلى الانتظار طويلاً قبل أن يهبط الفأس.. وقال بازدراء:

ـ ألا تظنين أن جون قد يكون أقل من المستوى الذي تريدينه.. هذا فضلاً عن كونه لديه فتاة جميلة جداً في ريشيرنا، سيرتبط بها في نهاية السنة.

ـ أجل.. أعرف هذا واسمها جانيت.. لقد أخبرني جون كل شيء

عنها.

ـ وهذا لا يعني لك شيئاً، صحيح.. فهل يرضيك أن تدمّري علاقة متوازنة جداً، بين شخصين لطيفين؟

ردت بسرعة:

ـ لا تكن سخيفاً جايستن.. أنا لا أحاول تدمير شيء، وأؤكد لك أنني لا أفكر بجون كزوج مستقبلي.

ـ لا؟ لكن لم أرَ أنك حاولت منعه من تقبيلك!

ـ ولما أمنعه؟ فجون يعجبني وقبلته كانت على جبيني.. وإذا كان هذا الأمر يزعجك كثيراً فلنقل إنني كنت أجمع بعض الذكريات ما رأيك؟

رد بصوت متفجر:

ـ في هذه الحال دعينا نرى فيما إذا كان بالإمكان إعطاءك تذكاراً تتذكرينه فعلاً.. فهل نفعل؟

فجأة لامست يداه شعرها، وشدها إليه بقوة خارقة، وأبقاها هكذا قربه، وأصبحت ضائعة في عناق شلّ مشاعرها وجعلها تضعف بشكل غادر، وارتفعت من حنجرتها شهقة باكية كانت بداية للين أمام ضغطه المسيطر.

لكن سرعان ما تركها جايستن ترتعد.. شفتاها ترتجفان، وعيناها تحاولان عبر الظلال التي ترسلها غصون الأشجار الاستوائية المزهرة أن تقرأ تعابير وجهه.. وقال لها ساخراً:

ـ أنت فتاة رائعة.. حلوتي.. لكنك لن تجعليني أغير رأيي بك.. فأنا أعرف تماماً نواياك!

أيظن..؟ لا يمكنه أن يظن أنها تحاول اللعب لتصل إليه؟ لكن هذا ما تدل عليه كلماته.. أوه.. يا إلهي! ألن يتوقف أبداً عن جعلها تدفع الثمن لقاء ملاحظة عابرة؟ بوجه متصلب لشدة سيطرتها على نفسها، ردت عليه بسخرية مماثلة:

ـ وأنت أيضاً رجل رائع جايستن غراهام! لكن تذكر أنك أنت من بدأ هذا وليس أنا! وإن كنت بحاجة إلى إظهار رجولتك، فلما لا تفعل هذا مع فتاتك.. فأنا واثقة من أنها ستريحك كثيراً..!

وبسرعة تراجعت إلى الوراء بعد أن تحرك مهدداً. وأكملت:

ـ في الوقت الراهن، أتمنى لو تدعني وشأني.. لأنك لو كنت المثال الأوحد لمجتمعنا الثري، فلن أقبل بك ولو كهدية!

وركضت باتجاه المنزل بأسرع ما يمكنها.

وبوصولها إلى الردهة، أبطأت السير قليلاً لتستدير حول عمود السلم.. لكنها فجأة توقفت لدى رؤيتها آيمي التي قالت لها باحتقار واضح:

ـ أوه.. هذه أنت.. سمعت الكثير عنك.. وعن سلفك اليوم.. أهذا جئت إلى ماراندو؟ لتنفّذي انتقام عائلتك؟

ـ لا.

وتحركت لتمر من أمام آيمي، ولكن الفتاة تحركت بدورها نحو السلم لتسد لها الطريق. وسألت:

ـ هل أخبرتك مارنا عن الشعر؟ إنه بيت من شطرين. لطالما اعتقدت أنهما يترجمان القصة كلها.

ابتسمت بلؤم وأكملت:

ـ أتودين سماعه؟

أثار ذلك اهتمام مايسي فهزت رأسها إيجاباً.

"وصل ميتلاند إلى ما أراد من الحياة"

"فكان الوصول إلى حيث مات"

قالتها آيمي بلؤم وأكملت:

ـ أتعلمين أن ذاك الجزء من النهر حيث اكتشفت لجثة يسمى بـ "وصول الميتلاند".. كل ما أتمناه أن لا يعيد التاريخ نفسه وأنت هنا مايسي.. فسيكون هذا خزي وعار.. وأنا واثقة أن عائلتي لن تستطيع

كتابة شعر آخر كما فعلت من قبل.

فكرتان قفزتا فجأة إلى أفكار مايسي المتضاربة.. أولهما، أنها كان يجب أن تعرف أن واحداً من أسرة مورتون هو الذي كتب هذا الشعر، وثانيهما، أن آيمي، ولسبب مجهول تحذرها! وبعد مقابلتها المؤسفة مع جايستن منذ قليل، بدت لها الفكرة الأخيرة سخيفة.. لكن، من هي لتحرم آيمي متعة التصديق أن التحذير ضروري؟

ابتسمت مايسي ببطء يوحي ببعض التلميح:

ـ لطف منك أن تهتمي بمصلحتي آيمي.. لكن لا حاجة لاهتمامك.. أترين.. هذه الميتلاند لا تحاول الوصول إلى شيء تعرف تماماً أنها لا تستطيع امتلاكه.. ومن المؤسف حقاً أن البعض منّا لا يفكّر هكذا.. ألا تظنين هذا؟

ورفعت حاجبيها بكل براءة..

هذه المرة نجحت في أن تتجاوز الفتاة قبل أن تستعيد وعيها.

ـ سأنال منك أينها الساقطة!.. انتظري لتري!

وتمكنت من الوصول إلى أعلى السلم.

ارتسمت ابتسامة أسى على شفتي مايسي.. كان هناك شيء في ملاحظات آيمي المحتقرة يثيرها.. هذا ما فكرت به وهي تقف تحت الدوش.. على أي حال.. يجب أن تكون ممتنة لآيمي.. لأنها أبعدت تلك الأفكار المزعجة عن جايستن من تفكيرها، ولو لفترة قصيرة.. لكن هذه الأفكار عادت مجدّداً فأدارت الماء لتقفلها بقوة.. حتى تجفيف شعرها لم يبق هذه الأفكار بعيدة لمدة طويلة، وبتنهيدة استسلام، جعلت نفسها تواجه الحقيقة التي كانت تحاول تجنبها منذ أمد بعيد.

إنها تحب جايستن غراهام!

لا مجال للتهرب.. لا مجال للتكذيب.. لقد وقعت في حب رجل لم يتراجع يوماً في إيضاح ما يظنه بها! رجل حياته بعيدة جداً عن

حياتها.. ولولا أنها هي التي دفعت نفسها ليلاحظها، لما كان يفكر بإلقاء نظرة ثانية عليها.. لا عجب إذن أن عناقه لها يؤثر عليها بهذه القوة.. أو أنها لا تتمكن، مهما حاولت جاهدة، من كبح تجاوبها معه! يا لسخرية القدر! لقد قال عنها إنها جاءت لتبحث عن الثروة، وكان أن وقعت في حب واحد من أغنى الأثرياء! ومع ذلك لا رغبة لها في الضحك وتشعر أنها قريبة جداً من الدموع!

في نهاية الأسبوع التالي، أقامت بلدية وايامبا احتفالها السنوي ويشمل التنزه والسباق... ويحضره عادة أبناء البلدة والقرى المجاورة..

أقيمت الخيم لبيع الطعام والمرطبات من كل الأنواع، ومدت طاولات خشبية طويلة مع مقاعد من نفس النوع ما بين الأشجار، لمن يرغب في أن يأتي معه بطعامه الخاص.. كان هناك منصات لبيع الوجبات السريعة للأطفال، وجياد صغيرة لتسليتهم، بينما يناقش الآباء محاسن ومساوىء الجياد المشاركة في السباق.. حلبة السباق نفسها، كانت محددة بسياج خشبي جديد، مع ميدان لتجمع الفرسان وتسريج الخيول. وفي الوقت الذي وصلت فيه أسرة غراهام، كان أول سباق على وشك الانطلاق، وكان هناك هالة قوية حول المنظر كله.. جموع محتشدة بثياب ملونة هنا وهناك.. وأطفال صغار يداعبون جيادهم وكل واحد منهم مسلح بحلوى لنفسه وبتفاحة للجواد المختار.

وتمكنت مايسي وجوليا من الاختلاء ببعضهما للحظات.. لكن سرعان ما انضم إليهما غاي وجون.. وسأل جون الفتاتين مبتسماً:

ـ وماذا يقول لكما حدسكما الأنثوي... من سيفوز في السباق؟

قالت مايسي مبتسمة بدورها:

ـ لقد راهنا معاً بمبلغ صغير على الرقم ثلاثة.. مع أننا لا نعرف شيئاً عنها جميعها لذا قررنا أن نراهن على الجياد السوداء في كل سباق.

ابتسم غاي وقال:

- أحياناً أعتقد أن هذه طريقة ناجحة.. لكن ماذا يحدث لو كان هناك اثنان منها في كل سباق؟

قالت جوليا تهز كتفيها:

- نرمي قطعة نقد معدنية.

- وإذا كانوا جميعاً جياد سود؟

ضحكت مايسي:

- في هذه الحالة لا يمكن أن نخسر

اعترف غاي بهزيمته أمام منطقهما:

- أوكي.. لقد فزتما.. لكنني وجون راهنا بمبلغ كبير على الرقم واحد

راجعت مايسي برنامج السباق بسرعة:

- هاه.. إبليس الصغير.. اسمه يروق لي.. لكنني آسفة، أظن أنه سيمرض قبل انتهاء السباق.

- وماذا تعرفان بعد، ما لا نعرفه نحن؟

- لا شيء سوى أنه سيصاب بنزلة صدرية من الهواء الذي سينبره «الماندرين» حين يمرّ به.. بالطبع، وما غير هذا؟

وضحكت الفتاتان لوجهيهما المتجهمين في وقت تعلق فيه الأربعة بالحاجز الخشبي كلٌ يشجع جواده لكن وكما تكهن الرجلان، انطلاقة «إبليس» السريعة جعلته يتقدم السباق، ولم يتمكن الماندرين من اللحاق به.

فقال جون معزياً، دون إخفاء ضحكته الساخرة:

- حظ عاثر، يا فتيات، لقد كان ثانياً.. فهل راهنتما عليه في كلا الحالتين؟

قالت جوليا:

- كلا.. لكننا سنكسب في المرة القادمة.

وهكذا استمر الصباح.. السباق الثالث كان للفارسات فقط، وأحست مايسي بالحرج حين وجدت نفسها تصرخ بقوة تشجيعاً لليز براون، ليس لأنها تحبها فقط أو لأن من عادتها أن تركب جواداً أسود، بل لأنها هزمت آيمي مورتون بخمسة أطوال.

بعد ذلك عادت مايسي وجوليا إلى الطاولات التي غطيت بالقماش الملون، استعداداً لتناول الطعام.

ملأت مايسي طبقين بمختلف أنواع الطعام، وحملتهما إلى حيث كانت مارتا جالسة على كرسيها في ظل شجرة تين متفرعة الغصون.. أعطت مارتا طبقها.. ومن ثم فرشت بساطاً على الأرض قرب كرسيها وجلست.. تذوقت مارتا قطعة من فطيرة الجبن بالبرتقال، وابتسمت:

- لذيذة جداً.. إنها أفضل ما تصنعه لودي.. ولكن، هل جوليا مرتاحة في العمل في مطبخنا مايسي؟

نظرت مايسي إليها وابتسمت:

- إنها تحبه.. وتقول إنها تتعلم الكثير..

وبعد صمت.. قالت مارتا:

- أظن أن غاي جينكنز سيكون سعيداً بهذا.

ابتلعت مايسي ما بفمها بسرعة.. فمارتا لا تتجول كثيراً في المنزل.. ومع ذلك لا شيء يدور في المزرعة إلا وتعرف به. وقالت معترفة:

- أجل.. لدي إحساس أنهما جادان في علاقتهما.

- وماذا ستفعلين فيما لو قررا الزواج؟

- في الواقع لم أفكر بهذا.. لكن أعتقد أنني سأتابع الطريق وحدي.

مضغت مارتا قطعة أخرى من الفطيرة وقالت:

- سنرحب بك لو قررت البقاء هنا.. هذا إذا كنت قادرة على تحمل عجوز متعبة مثلي..

ـ أنت لست متعبة مارتا.. بل على العكس.. أنت دائماً تعطيني بضع ساعات من الراحة لرؤية صديقتي وقضاء الوقت معها.. حتى أنك هذا الصباح قلت لي: «اذهبي لرؤية السباق مايسي، فأنت لم تريه من قبل، أستطيع تدبر نفسي».. أنا حقاً لم أعمل من قبل لدى شخص مريح مثلك.

بدأت علامات الرضى تظهر على وجه مارتا:

ـ إذن ستفكرين بالبقاء؟

تنهدت مايسي.. إنها تحب.. وتكره.. أن تبقى، فهل ستفعل؟ ستكون قريبة جداً من جايستن.. ومع ذلك بعيدة.. بطريقة ما، لا تظن أنها قادرة على تحمل هذا، لكن مارتا تنتظر الرد.. هكذا ردت بهدوء، ودون أن يكون لديها أي شك عما سيكون ردها الأخير:

ـ سأفكر بالأمر.

ـ عصير.. مارتا.. مايسي؟

فجأة، أصبح لموضوع أفكارها وجود حقيقي، ووقف جايستن إلى الجانب الآخر من كرسي مارتا، وإبريق عصير في يده يكاد يتصاعد منه بخار البرودة، وكوبين طويلين في اليد الأخرى.. كان يرتدي بنطلوناً بنياً قاتماً، وقميصاً بلون الفلفل الأخضر فصير الأكمام، وبابتسامة ساحرة نظر إلى مارتا، وكان، كما أحست مايسي، أكثر الرجال إثارة.

قالت مارتا برضى بعد أن احتست القليل من الشراب:

ـ رائع.. وسأخذ مايسي منه.. إنه بالضبط ما تحتاج إليه مع الطعام.

قالت مايسي وهي تتقبل الشراب:

ـ شكراً لك.

جلس جايستن قرب مارتا، لكن وهما يتحدثان، أبقت مارتا رأسها مستديراً، تتظاهر بالتفرج على الجموع المحتشدة ما بين الخيم

والمنصات.. ولم تدرِ مايسي أنها كانت موضع تفحص مارتا بعد ذهاب جايستن بوقت طويل.. حيث سألتها:

ـ حسناً! ماذا ستفعلين؟

تجعد جبينها، واستدارت:

ـ أنا.. أنا آسفة.. أظنني لم أسمع شيئاً.. أفعل ماذا؟

ـ ألم أقل لك إنني لا أحب الوجوه المتجهمة من حولي.. قد تكونين شفيت من خدوشك، لكنك أبدلتها بدوائر قاتمة حول عينيك وهذا ما لا أحبه.

ـ أنا آسفة مارتا.. أنا.. لم أنم جيداً في الأسبوع الماضي.. أنا.. أعتقد أن هذا هو السبب.

ـ أوتظنين هذا؟

ـ وما غيره؟

رفعت مارتا حاجبيها وقالت:

ـ أنت تعرفين أكثر مني..

أجبرت مايسي نفسها على الضحك قليلاً:

ـ لا.. أظن أنني مصابة بكآبة.

ووقفت.. تنفض الغبار من على مؤخرة بنطلونها بتوتر وغيّرت الموضوع:

ـ والآن ماذا تريدين؟ سلطة الفاكهة أم حلوى الترايفل.

تنهدت مارتا:

ـ حسن جداً مايسي.. سآخذ سلطة الفاكهة مع الكريما، شكراً..

وتحركت من مكانها لكن يداً على معصمها أوقفتها مجدداً:

ـ تذكري فقط، مايسي.. إذا كنت تريدين شيئاً، عليك السعي إليه.. فالقليل القليل يمكن تحقيقه، دون جهد شخصي.

ـ سأتذكر هذا مارتا.. شكراً لك.

وأسرعت مبتعدة.

ماذا تقصد مارتا بكلماتها هذه؟ أيعقل أن تكون قد اكتشفت حقيقة مشاعرها نحو جايستن؟. لا.. لا بد أنها تقصد شيئاً آخر.. بكل تأكيد.. وتسارعت الأفكار، دون ترابط، في رأسها.. فجأة وجدتها.. أيمكن أن تكون هذه التي تبحث عنها؟ كانت مارتا تعرف أنها ترى جون.. وتعرف كذلك أنها أمضت يوم عطلتها معه.. لا بد أن هذه هي الفكرة، مسكين جون، وابتسمت بخشونة لنفسها.. لكن على الأقل هذا أفضل بكثير من أن تعرف مارتا الحقيقة..

ـ لمَ كل هذا التفكير مايسي؟ ألا يمكنك تحديدالرابح في السباق؟

قاطعها صوت جيل ضاحكاً فأجابت:

ـ لا.. كنت أتساءل فيما إذا كنت سأنضم إلى مارتا في تناول الحلوى.

ـ في هذه الحالة، لا تحتاري، حذي حلوى التريفل إنها رائعة.

ـ إلى هذه الدرجة؟

ـ اسألي أنجيل وهي تقول لك..

وظهرت خبيرة الحلوى، وجهها الملوث بالفطيرة، وأصابعها اللزجة، دليل واضح على تمتعها بالتريفل وصاحت دون خجل:

ـ هل أستطيع الحصول على المزيد مامي؟

همست أمها:

ـ وهل أستطيع أنا الحصول على المزيد حبيبتي؟

عبست الطفلة في وجه أمها وصرخت:

ـ ليس أنت مامي.. بل أنا.

فقالت جيل:

ـ أستسلم، سأحاول تصحيح هذا في العام القادم، حين تصبح أكبر.. أجل حبيبتي.. بإمكانك الحصول على المزيد، لكن القليل القليل فقط. لا نريد أن نزعج معدتك الحديدية.

ـ وما هي المعدة الحديدية مامي؟

ـ شيء قوي جداً يستطيع تحمل الكثير، دون تعب.. وهذا ما يشبه تماماً معدتك حبيبتي.

أمسكت يد ابنتها لتأخذها إلى المائدة، ومايسي إلى جانبهما.

وقف جون إلى جانب مايسي وهي تطلب سلطة الفاكهة لمارتا، وحلوى التريفل لنفسها:

ـ مرحباً.. أين اختفيت؟

أشارت نحو شجرة التين العتيقة:

ـ هناك مع مارتا.. وهل ظننت أنني سأجلس معك ومع بقية الرعاع أمثالك؟

وبابتسامة واسعة أمسك بخصرها محذراً:

ـ احذري يا فتاة، وإلا ستجدين نفسك تضعين حلوى التريفل على رأسك بدلاً من أكلها!

وضعت جيل اصبعها على شفتيها، وتوسلت:

ـ هس! لا تتفوه بهذا أمام أنجيل.

فقال جون وهو يأخذ الطبق من مايسي ويلف ذراعه حول كتفها:

ـ أولن تكون هذه نهاية سعيدة لغداء سعيد.. تعالي، من الأفضل أن ننسحب قبل أن تفعل انجيل شيئاً دراماتياً.

حين انضما إلى مارتا، مدد جون ساقيه الطويلين أمامه واستند إلى جذع الشجرة بالقرب من مايسي.. فابتسمت مارتا لهما وقالت:

ـ آه جون.. رائع أن أراك تعتني بمرافقتي!

ـ أفعل ما بوسعي مارتا.. لكنها متعة قلما.. ولست أدري كيف تتحملينها.

ضحكت مارتا وهي تنظر إلى الوجه الضاحك قرب كرسيها:

ـ لدي طرقي الخاصة.. والآن.. قل لي من سيكسب كأس وايامبا هذه السنة.

أخرج جون برنامج السباق من جيبه، وأخذ يفتش فيه إلى أن وصل

الصفحة المناسبة. ثم قال بعد تفكير:

- أعتقد أن جواد جايستن «القوة المتدفقة» سيكسب السباق.. لكن يجب أن أعترف أن «غس سالايف» قد عمل كثيراً على تدريب جواده الرائع.. وأظن الأمر منقسماً بينهما.

سألت مايسي بدهشة:

- هل أدخل جايستن جواده في السباق؟ ومن سيركبه؟ هو؟

- لا بل سام الصغير

والتفت إلى مارتا:

- ما نوع هذه الفتاة.. أسألك؟ فمنذ أسبوع ونحن نحضّر لهذا السباق.

وهز رأسه بسخرية.. فأجابت مارتا توضح ذلك:

- أخشى أن مايسي كانت منشغلة في عالمها الخاص الأسبوع المنصرم.. وربما هي بحاجة إلى من يعيدها إلى صوابها، وأظنك قادر على هذا طالما هي برفقتك.

نظرت إليها مايسي نظرة ارتياب.. أهذه هي طريقتها في المساعدة فيما تظن أنه سبب متاعبها؟.. أوه.. حسناً.. حتى ولو كانت هذه هي المسألة، فلا ضير فيها، ولأنها تتمتع بصحبة جون فمن الأفضل محاراتها.

قال جون لمايسي، وقد غمزها..

- أعتقد أنك ستكونين خائنة لمعسكرنا، ولن تدعمي جواد غراهام.. بعد معرفتك أنه بلون كستنائي، وليس أسوداً.

تمتمت مايسي تفتش في أوراق البرنامج:

- يقال إن من سوء الحظ تبديل الجياد.. في وسط الطريق.. هه.. هذا قول ملائم جداً.. هل هناك جواد أسود في هذا السباق؟

- وله حظ كبير أيضاً.

- إذن.. ربما من الأفضل أن..

وتلاشت كلماتها حين رأت من هو صاحب الجواد الأسود.. هال مورتون.. ونظرت إلى جون نظرة تهديد ساخرة:

- لا.. لقد غيرت رأيي.. لا أريد أن يظن أحد أنني خائنة.. سأدعم «القوة المتدفقة».

وابتسمت لجون، قبل أن تستدير إلى مخدومتها:

- هل ستأتين لتشاهدي السباق مارتا؟

- لا يا طفلتي.. أفضل البقاء هنا في مقعدي المريح.. ومراقبة السباق عبر المنظار المكبر.

ووضعت يدها على منظار إلى جانب مقعدها، لم تره مايسي من قبل.. فقالت مايسي وقد وقفت:

- حسناً.. من الأفضل أن نتحرك، وإلا فلن أستطيع وجوليا تنظيف المكان قبل بدء السباق.

وبدأت بجمع الأطباق في كومة مرتبة. بينما وقف جون وقد أشعل سيكارة.

- أجل.. ابدئي.. كي لا يفوتك الحدث.

فالتفتت إليه وقالت:

- وهل هذا عرض بالمساعدة؟

رفع يديه استسلاماً:

- عدلت مرة أخرى.. رغم الأشياء التي أفعلها لك! حسناً اذهبي وساعدي جوليا بينما أفتش عن بقية الصحون المبعثرة.

مع تقدم غاي للمساعدة، تمكن الأربعة من اختصار مدة التنظيف، ولم يطل بهم الوقت حتى أصبح كل شيء مرتباً في السلال بانتظار العودة إلى المنزل.. قالت مايسي بسرعة:

- نلتقي عند السياج.. من الأفضل أن أرى فيما إذا كانت مارتا بخير.

وركضت باتجاه شجرة التين، لكن بعد تأكدها من أن مارتا لا

www.liilas.com/vb3

تحتاج إلى شيء، اتجهت إلى مكان آخر.. لأنها كانت قد أضاعت رفاقها.. وما إن وقفت لوحدها... حتى التفت يداً مألوفة على خصرها، مع نفس دافيء في أذنها، وقالت لهجة هال المعسولة:

ـ جئت لتؤيدي جوادي، أليس كذلك حلوتي؟

إمساكه من خصرها جعلها ترتجف قليلاً فحاولت الابتعاد عنه، وقالت بسعادة:

ـ في الواقع لم أفعل.. جئت لنأييد جواد جايستن.. وسأكون ممتنة لو أبعدت يديك عني!

لكن يده بقيت حيث هي رغم صدها له..

ـ دعك من هذا حلوتي.. كلنا يعرف ما يجري في عالم الأزياء.. فلا تحاولي أن تلعبي دور الآنسة البريئة فأنا أعرف أمثالك جيداً.

وبلهجة قاسية رد عليه صوت آخر.

ـ في هذه الحالة، ربما من الأفضل لك أن تفعل ما طلبته منك هال.. وتتركها بسلام.

استدارا معاً ليجدا جايستن وقد وقف أمامهما..

وبطريقة ما تغاضى هال عن كلماته، مما جعل مايسي تتساءل فيما إذا كان يتعمد هذا أم أن هذه طبيعته.. وقال ببراعة منذاكية:

ـ ما أعرفه عنك أنك لست قديساً جايستن.. أليس كذلك؟

احمرّت وجنتا مايسي خجلاً، ونظرت بذعر إلى الجموع حولها، ولكن الضجيج كان يغطي الحديث.. وجاءت كلمات جايستن قاطعة كالسوط:

ـ أظنك قلت ما يكفي هال! وفي المستقبل أقترح عليك أن لا تنسى.. فمايسي موظفة عندي، وأنا مسؤول عنها فهل هذا واضح؟ أم تريدني أن أقول المزيد؟

للحظة حاول هال أن يرد نظرته، لكنه في النهاية أخفض عينيه، ودفع مايسي إلى جايستن.

ـ خذها إذن.. فهي لا تستحق أن تتشاجر لأجلها وتوارى بين الناس.

برأس منخفض، ابتلعت مايسي ريقها قبل أن ترفع نظرها إليه وتمتمت بصوت مرتجف:

ـ أنا آسفة جايستن.. أنا لم.. لم.. أشجعه.. أرجوك أريدك أن تصدقني.

وبصوت منخفض رد شعرها الطويل إلى خلف أذنها، وعيناه لا تتحركان عن شفتيها المرتجفتين:

ـ أعرف هذا.. وأنا آسف أيضاً لأن هال فقد السيطرة على نفسه.

لم تستطع سوى أن تهز برأسها إيجاباً.. كانت مذهولة ومبتهجة بالتعبير اللطيف في عينيه الرماديتين، اللتين جعلتا قلبها يهبط حتى قدميها، ويعود ثانية، قبل أن تتمكن من إبعاد عينيها عنه.

ثم ضحكت بارتجاف:

ـ من الأفضل أن نراقب السباق.. أظن أنهم سيبدأون الآن.

واستدارت لتتكيء على السياج.. بينما أحاطت ذراعا جايستن بها.. أحسّت بقوة صدره على ظهرها، وشعرت بأن عواطفها تنطلق بجنون.. لكنها بعد لحظات، بدأت تسترخي وتتمتع بدفء جسده.. إنها بقرب الرجل الذي تحبه..

وبدون اهتمام منها رأت مايسي مجموعة الجياد، وهي تنطلق كالبرق باتجاه خط النهاية، لكن الهدير الثائر للجموع، دخل أخيراً إلى ذهنها المتلبد، حين رأت الجواد الأسود في المقدمة.. وفجأة.. من حيث لا تدري انطلق الكستنائي متجاوزاً الأسود، ليكسب منه بسهولة.

وسط الهتاف الحماسي، التفتت إلى جايستن، وصاحت وكأنها تملك الجواد:

ـ لقد كسب..! لقد فعلها حقاً! لقد ربحت الكأس!

ظهرت أسنان جايستن البيضاء في بشرة وجهه البرونزية.

ـ وكأنك لم تتوقعي فوزه.. ما رأيك لو تأتين معي لتسلم الكأس؟
وأمسك بكلتا يديها.. لكنها سحبت يديها منه بكل أسف.
ونظرت إلى منصة الحكم:
ـ لا أستطيع! من الأفضل أن تذهب.. أظنهم يبحثون عنك.
ـ أهنئك حبيبي!
ظهرت آيمي وتقدمت نحو جايستن وطبعت قبلة صغيرة على خده وبكل ثقة أكملت:
ـ كدنا نفوز عليك هذه المرة..
ثم التفتت نحو مايسي لتعطيها نظرة تقييم باردة
ـ لا بأس، سيأتي دورنا.. أنا واثقة.
شعرت مايسي ببعض التوتر وهي تسمع آيمي تضيف ببرود أكثر:
ـ هل نذهب لتسلم الكأس، حبيبي؟
تلك الكلمة جعلت مايسي تتحرك قائلة:
ـ يجب أن أجد الآخرين.
وتلاشت بين الجموع.. لم تكن قادرة على أن تقف هناك لحظة واحدة وتشاهد آيمي تدلل جايستن بعينيها، أو أن تراه يرد لها الابتسام.. خاصة بعد تلك اللحظات الحميمة التي لن تنساها أبداً، حين كانت وجايستن، ولأول مرة، قريبين جداً من بعضهما.. للحظات كهذه لن تعيشها مرة أخرى..

* * *

٨ ـ ساعة الحساب

لم يكن لدى مايسي الكثير من الرسائل خلال الأسبوع الذي تلا لكنها بقيت مشغولة جداً على أي حال.. كما كان بقية الموظفين في المنزل.. وذلك تحضيراً للزفاف المرتقب.

وكان هناك مخابرات هاتفية من الأقارب والأصدقاء للاستفسار عن الموعد المحدد.. وأخرى من متعهدي الحفلات وذلك للتأكد من أن كل شيء أصبح جاهزاً، وبما أن سوزان عادت إلى المنزل في الأسبوع الماضي بدون فستانها الذي لم يكن جاهزاً فقد كثفت من مخابراتها الهاتفية لابنة عمها في بريزبن تذكرها بأن لا تنسى أن تأتي به مهما حدث.

صباح يوم السبت كان مخصصاً للنساء وذلك للذهاب إلى مصففي الشعر في ويست سيرنغز، ولدهشتها، وجدت مايسي أن هذه الدعوة تشملها أيضاً.. فذهبت معهن وفي رأسها كلمات جايستن «ذلك الشعر اللعين».

وهكذا، بينما الأخريات كن يجمعن شعرهن في تسريحة أنيقة، كانت مايسي تقصه، وما من شك أن القصة ناسبتها، لكن، صيحة لأسى من مارتا، جيل، وسوزان، لخسارتها شعرها الطويل كانت تلاحقها أينما ذهبت.. حيث كانت ترفع يدا مستكشفة إلى رأسها من وقت لآخر..

وخلال فترة بعد الظهر، وصل مشهد الحفلات مع عماله

فراشة المحبة

فاستولوا على المطبخ.. في وقت كانت فيه مارتا نائمة وجوليا لا عمل لها. فاستغلت الفتاتان الفرصة، ودخلتا غرفة مايسي طلبا للراحة، قبل حلول الأمسية القاسية. رفعت مايسي قدميها فوق السرير. بينما جلست جوليا على طرفه. قالت مايسي:

- لاحظت أنك لم تذكري غاي مؤخراً.. أليست الأمور على ما يرام بينكما؟

انحنت جوليا تراقب طرف بنطلونها، ثم قالت:

- في الواقع.. طلب يدي للزواج.

ورفعت نظرها إلى صديقتها في انتظار ردة الفعل، فمازحتها صديقتها مبتسمة:

- آه.. من كان يظن هذا؟ وماذا قلت له؟

وضحكت.. فمدت جوليا يدها إلى سيكارة وأشعلتها:

- أظن أن الأمر كان واضحاً جداً، فحتى مارتا سألتني متى سأتزوج الرجل وأخرجه من بؤسه.. تعرفين كم هي صريحة.

- أعرف تماماً! ومتى ستتزوجينه؟

عادت جوليا تنفض الغبار عن طرف بنطلونها.

- غاي يريد أن يحدث هذا بأسرع وقت ممكن، لكنني قلت له إنني سآخذ رأيك أولاً.

- ولماذا أنا؟ لست بحاجة إلى إذن مني.

- أنسيت أننا اتفقنا على هذه الرحلة معاً؟ لن أخذلك وأتركك لوحدك..

- آه.. جوليا لا تكوني سخيفة! هيا اذهبي وتزوجيه.. ولا تنسي أن ترسلي لي الكثير من الصور حين يأتي الأطفال.

ضحكت جوليا:

- يا إلهي لا تستعجلي الأمور.. في الوقت الحاضر لا أريد أن يشاركني به أحد. ولكن ماذا ستفعلين مايسي؟ هل ستتابعين الرحلة

لوحدك؟

- ربما، فمن يعلم، قد ألتقي بفتاة أخرى في بريزبن، أو في مكان آخر، لها نفس أفكاري..

وضعت جوليا يديها وراء رأسها وقالت:

- مستحيل أن تجدي تلك الفتاة مايسي.. والآن من أين جاءتك فكرة قص شعرك؟

وضعت مايسي يدها المرتجفة على شعرها وقالت:

- أوه.. كان يضايقني وهو طويل، فقررت أن أقصّه. هذا كل شيء.. لماذا؟ ألا يعجبك؟

- بل يعجبني كثيراً.. لكنه مختلف جداً، ويلزمني بعض الوقت كي أعتاد عليه.. وعلى ما أذكر، مضت سنوات عدة على قصّه هكذا. أليس كذلك؟..

- صحيح.. منذ أيام الدراسة.

تابعت الفتاتان حديثهما لنصف ساعة أخرى قبل أن تنظر جوليا إلى الوقت، وتغادر بسرعة فنهضت مايسي واستحمت قبل أن تضع عطراً منعشاً وتفتح خزانتها.

لم يكن لديها سوى فستان واحد من الشوفين الأسود. وكان يناسبها تماماً فهو يبرز لون بشرتها البيضاء ويزيد من اشتعال النار في شعرها.

وحين أصبحت جاهزة، نظرت في المرآة: بشرة ذهبية دافئة، رموش سوداء كثيفة، تحيط بعينين خضراوين لامعتين، وشفتين ملونتين بلون المشمش، قال لها كل هذا إنها لم تبدُ من قبل أفضل من هذا.

وخرجت بهدوء.. لتستدير نحو جناح مارتا.. لكن، قبل أن تصله سمعت وقع خطوات على السلّم.. وفجأة ظهر أمامها جايستن، برشاقته وخفته.

كان يتجه إلى الحمام لأنه لا زال يرتدي ثياب العمل.. شعره الأسود متجعد على جبهته.. لكن ما إن شاهدها حتى أبطأت خطواته وقال:

- يا إلهي.. ! ماذا فعلت بشعرك بحق السماء؟

مرة أخرى ارتفعت يدها دون وعي إلى مؤخرة عنقها، ووجدت نفسها تتمتم دفاعاً وهي تبتلع ريقها:

- أنا.. أنا.. كان يضايقني.. و.. كان مزعجاً.

وشددت على آخر كلمة.

دلائل المعرفة أخذت طريقها إلى وجه جايستن، واتسعت عيناه بغضب:

- ومن المفترض أن أصدق هذا العذر؟ اسمعي.. حتى الآن لم ألتقِ بشخص مخادع مثلك ولا أدري فيما إذا كنت تعمّدت هذا أم لا..

كلامه الساخط هذا كان لاذعاً، لكن قبل أن ترد عليه رفع يده يعبث بشعرها القصير، ثم تركه فجأة ليرفع ذقنها إلى فوق، ويقول بلطف:

- دعيه يطول ثانية مايسي.. فأنا لا أحب الشعر القصير.

- لكنك لست مضطراً لأن تحبه.

لو ضعفت الآن أمامه، فسيكتشف بسهولة حقيقة مشاعرها نحوه.

ساد صمت عميق بعد صدها المتعمد.. وبشيء يشبه الحلم أحست يده تترك ذقنها، وسمعته يقول دون اكتراث:

- لا.. لست مضطراً.. أليس كذلك؟

ثم تركها لتدخل غرفته.

استندت مايسي إلى الجدار وقلبها يخفق بسرعة. حاولت أن تقنع نفسها أنها كانت محقة بصرف النظر عن ما قاله لها جايستن، لكن المشكلة كانت أن نصف تفكيرها كان يوافق على ما تصرفت به، بينما النصف الآخر كان يرغب في أن تفعل بالضبط ما أراده منها.

ودخلت غرفة مارتا، لتجدها جالسة أمام طاولة الزينة وقد ارتدت

فستاناً حريرياً بلون البودرة الزرقاء. أما عنقها ومعصمها فقد زيّنا بمجموعة الماسية تخطف الأنفاس، بينما شعرها مرفوع إلى فوق.

قالت مارتا بعد أن أقفلت مايسي الباب:

- آه، مايسي، تعالي يا طفلتي وساعديني في وضع الماكياج.. أخشى أن لا تكون يدي ثابتة بما يكفي، فأبدو وكأنني دمية مدهونة.

وبسعادة، سحبت مايسي الفرشاة الصغيرة من مكانها داخل علبة صغيرة، وبضربات خفيفة أخذت تضع اللون المناسب على خدي مارتا.. ثم تراجعت إلى الخلف لتتفحص عملها، ورفعت رأسها مفكرة:

- لا أظنك بحاجة إلى المزيد.. أليس كذلك؟

نظرت مارتا إلى مرآتها وهزّت رأسها برضى:

- لا.. فهذا يكفي. شكراً لك مايسي.. والآن، أعطني ذراعك كي أنزل السلّم وأرى فيما إذا كان كل شيء على ما يرام قبل وصول الضيوف.

وشدّت على يد مايسي مشجعة، وهما تتحركان إلى الباب:

- تبدين جميلة جداً هذه الليلة.. سأضطر لمراقبتك عن كثب، وإبقاءك إلى جانبي. وإلا سأجد أحد الشبان وقد اختطفك مني للأبد.

وبضحكة خفيفة من مايسي نزلنا معاً السلّم.. مع أن الجهد للضحك كان يؤلمها.. لكنها لا تريد أن تجعل مارتا تحس بمشاعرها الحقيقية.

وفي الأسفل كانت لودي وجوليا تضعان اللمسات الأخيرة ومتعهدو الحفلات يشرفون على ترتيب الطاولات في غرفة الطعام، بينما الفرقة الموسيقية الرباعية مشغولة في تثبيت آلاتها. والمصورون يتفحصون الزوايا المناسبة لصورهم..

وتعالى الضحك في الردهة، حين دخلت سوزان وكاري غرفة الاستقبال، يتبعهم جيل وجيرارد.. بدت الفتاتان مذهلتين في

فستانيهما.. وقال جيرارد:

- ما رأيكم ببعض العصير المنعش؟

رد كاري قائلاً:

- فكرة رائعة.. فأنا أحس بأنني بحاجة إلى مرطب.

قالت سوزان ممازحة وقد وضعت ذراعها حول خصره:

- أتحس بالتردد حبيبي؟

لفّ ذراعيه حول كتفيها وقال مبتسماً:

- ماذا؟ وأخسر كل هذه الغنائم التي تنتظرني؟

كلماته أضحكت الجميع حتى مايسي، مع أنها لم تستطع إلا أن تقارن ما بين تمرير كاري لهذه الملاحظة وبين العاصفة التي أثيرت من حولها حين قالت: أبحث عن زوج ثري.. وتنهدت. هناك قانون خاص للأثرياء.. وقانون مختلف للفقراء.. ولطالما كان الأمر هكذا، ولطالما سيكون..

صوت جيرارد قطع حبل أفكارها وجعلها ترفع رأسها لترى جايستن وقد وقف بالباب.

- جايستن! كنا على وشك الدخول إلى غرفة الطعام لتناول العصير المنعش..

- هل تحاول تهدئة أعصاب كاري المتوترة؟

- لا تهتم بما يقول كاري.. إنه واثق جداً من نفسه لأنه لا زال مالكاً لحريته، ونحن لا.. لكن، تذكر كلماتي، سيندم عمّا قريب عندما سيرى الفرق..

وضحك بمرح شيطاني على أخيه.. فبادله جايستن الضحك:

- هذا غير صحيح. أم أنك لم تسمع بأن الحكمة تنمو مع العمر؟

رد جيرارد:

- ما من رجل كان محظوظاً بما يكفي ليصل إلى مثل هذه الحكمة.

ودفعته زوجته محذرة:

- احذر حبيبي.. فأنا أسجل لك كلماتك.

كشّر جيرارد وجهه مدعياً الخوف:

- في هذه الحالة.. من الأفضل أن أصمت.

بدأ توافد الضيوف حتى امتلأ بهم المنزل رغم اتساعه وسمعت مايسي همسة:

- هل شاهدت الهدايا في المكتبة؟

نظرت مايسي إلى مصدر الصوت لترى جوليا وقد اتسعت عيناها بذهول:

- يجب أن تريها! لا بد أنها تساوي الكثير!

ردت مايسي همساً من زاوية فمها:

- دعك من هذا جوليا وانظري إلى بعض الثياب هنا كم تساوي؟ أكره أن أفكر بهذا..

دفعتها جوليا نحو الباب وقالت:

- ربما، لكن اذهبي والقي نظرة على الهدايا. وكما يقال: أنت لم تري شيئاً بعد!

ولدى وقوفها في وسط المكتبة كان عليها أن تعترف أن صديقتها محقة.. فحتى الآن.. هي لم ترَ شيئاً بعد! في كل مكان نظرت إليه، كان هناك هدية رائعة..

- أرجو أن لا يعيد التاريخ نفسه!

مع صوت آيمي المستخف، استدارت مايسي على مضض لتجدها تطل من الباب وقد ارتدت ثوباً أرجوانياً رائعاً.

قطبت مايسي جبينها، وسألت مع أنها فهمت:

- آسفة.. لم أفهم قصدك..

- هيّا.. مايسي يجب أن تعترفي أن سلفك لم يأت هذه البلاد بمحض إرادته.. كان لصاً.. ألم يكن؟

- هل تريدين القول.. إنني كنت أنوي سرقة شيء من هذه؟

رفعت آيمي كتفيها وقالت:

ـ من يعلم! ربما وصلت في اللحظة المناسبة..

ما قصدته آيمي كان واضحاً.. فاحمرّت وجنتا مايسي واشتعلت عيناها غضباً:

ـ كيف تجرؤين على قول هذا؟ قد لا تكون عائلتي بثراء عائلتك، آنسة مورتون، لكنها تملك قيماً وأخلاقاً عالية.. فماذا عن عائلتك؟

التوى فم آيمي سخرية.. إنها واثقة جداً من نفسها:

ـ عائلتي ليست هي الموضوع.. بل عائلتك! وكلنا يعلم لماذا أتيت إلى هنا.. فأنت تسعين وراء المال والشهرة.. حسناً.. لا نريدك في ماراندو.. وأنا، بنفسي، سأجعلك شغلي الشاغل كي أراك تغادرين المكان كما جئت تماماً.. دون أي شيء!

ردت مايسي متحدية:

ـ لم أكن أعلم أن من حقك التدخل في أمور كهذه.

ـ آه.. عزيزتي يبدو أن أحداً لم يقل لك إنني سأكون السيدة غراهام التالية.. أحذرك، تقربك من مارتا ومحاولة أخذ الرضا من جايستن لن يفيدك أبداً! فما إن أصبح سيدة المكان حتى أطردك! أتفهمين؟

ردت مايسي بمرح ساخر:

ـ أوه.. أفهم جيداً.. لكن، أنا لا أرى خاتماً في يدك بعد.

ـ ستريه قريباً.. أؤكد لك.. لأن الخاتم أرسل إلى بريزبن للتنظيف وتعديل القياس.

ومدت يدها الفارغة تتخيل:

ـ أجل.. أعتقد أن تلك الأحجار الكريمة ستناسب يدي، ألا تظنين؟

تجاهلت مايسي سؤالها، وتحركت نحو الباب تتوق للخلاص منها بعد أن آلمها هذا الحديث.. لكن الفتاة نادتها بلهجة آمرة متحكمة:

ـ أوه.. ميتلاند.. تذكرت.. مارتا أخذت بعض الضيوف إلى المتحف.. وطلبت مني أن أقول لك، إذا رأيتك، أن تلحقي بها.

قاومت مايسي غضبها المشتعل، للتحقير الذي استخدمت فيه الفتاة اسم عائلتها.. وأسرعت بالخروج نحو المتحف. كانت تتوقع سماع أصوات الضيوف أمامها.. وتوقفت مترددة.. كانت الأنوار خفيفة.. وما هو ظاهر منها كان يرسل دوائر خفيفة من النور.. بينها مسافات كبيرة من الظلام.

بضع خطوات واقتربت من الظلال أكثر، فجأة بدا لها طيف رجل يتقدم نحوها.. وبضحكة ارتياح ركضت إلى الأمام. تسأل بخفة:

ـ مارتا أمامك بقليل.. أليس كذلك؟

ـ ولماذا تكون مارتا معي؟ أريد أن نكون لوحدنا حلوتي!

ـ هال؟

لم يكن هناك مجال للشك في هذه اللهجة المهينة.. واستدارت مايسي لتهرب، وكلمات آيمي الحقودة ترن في أذنيها «سيأتي دورتا». لا بد أنهما خططا لهذا فيما بينهما لينتقما.. فمارتا لم تذكر المتحف أبداً!

أمسك هال بذراعها آمراً:

ـ هيا مايسي.. توقفي عن لعب دور الفتاة الصعبة المنال! فأنت لست جديدة على هذه اللعبة!

حاولت تخليص يدها من قبضته وقالت:

ـ اسمع هال.. لن تنجح في استمالتي.. أتعرف لماذا.. لأنني أجدك بغيضاً..

ـ لما لا تتوقفين عن المقاومة حلوتي؟ هيّا.. تعالي.

ودفعها بقسوة على جذع شجرة سنديان عملاقة يلوي ذراعها إلى الخلف لتبدأ يده الحرة بملامسة عنقها.

وبيدها الحرة أيضاً ضربت يده باشمئزاز.. وأخذ توترها يتزايد مع

صفطه عليها، لكنها حاولت أن لا يصيبها الذعر.. وأبقت صوتها بارداً:

ـ آسفة هال.. لقد أسأت فهمي ومن الأفضل أن تتركني لحالي.

ـ أوتظنين أنني سأتركك بهذه السهولة؟ إنك تضحكينني مايسي، اسمعي.. لا أحد يسخر مني علناً.. سأجعلك تستسلمين لي..

ـ أبداً!

وبثورة عارمة، بدأت تقاومه بشراسة، لكن، حين حاول أن يمزّق فستانها غرزت أظافرها في وجهه.. فتراجع إلى الخلف يصرخ متألماً ويده تغطي ثلاثة شقوق حمراء على بشرته:

ـ أيتها الـ..

وصفعها بقوة لتقع على الأرض وسط العشب، ما من رجل ضربها من قبل، وهذه الفكرة، التي كانت أكثر ما آلمها، جعلتها تنظر إليه بشراسة.

وما إن خطا هال خطوة أخرى نحوها، حتى ظهر خلفه طيف أكبر منه، عبر الظلام، وسحبه حتى كاد يرفعه عن الأرض. وعندما استدار لمواجه القادم الجديد، تلقى ضربة قوية أوقعته أرضاً.

التفت جايستن إلى مايسي بينما أخذ هال يقف متعثراً على قدميه.. وقال آمراً:

ـ عودي إلى المنزل.. سأسوّي الأمر معك حين أنتهي من هذا..

ومرة أخرى كانت مضطرة للامتثال لجايستن لتدخله في الوقت المناسب.. لكن من تعابير وجهه حين تركتهما في الحديقة، لم تكن واثقة من أنها ستعطى الفرصة لتشرح ما حصل..

ووصلت إلى قرار... لن تبقى هنا.. وستذهب إلى البلدة.. يكفيها مواجهات هذه الليلة، أولاً آيمي، ثم هال، والآن جايستن! ومن يعلم ربما ستجد زاوية هادئة لها في فندق ماك. وبسرعة ارتدت قميصاً عتيقاً، وبنطلون جينز أزرق، وصندالاً في قدميها.. ثم أخذت حقيبة

يدها وخرجت من الباب الخلفي، باتجاه الفان، تاركة الأضواء في المنزل تتلاشى ببطء خلفها. كانت منزعجة لهربها من مارتا بهذه الطريقة.. لكنها لا يمكن أن تبقى وتنتظر فأس غضب جايستن ليقع على رأسها..

ومع أن الفندق كان مزدحماً أكثر مما تصورت، إلا أنها وجدت لنفسها زاوية معزولة أمام التلفزيون.. وقدم لها ماك بنفسه كوب شراب مثلج مع الحامض. ومع أنه تساءل في نفسه عن سبب وجودها لوحدها في هذا الليل المظلم إلا أنه لم يسأل..

وحين جاءها بكوب شراب آخر، نظر إليها بطريقة غريبة. لكنها تصورت أنها تتخيل..

بعد وقت سمعت صوت ماك يرتفع ثم شاهدت جايستن يقف بالباب ووجهه قاتم مخيف.. عيناه تنطايران شرراً.. سترته ليست عليه.. زر قميصه الأعلى مفتوح وأكمام قميصه مرفوعة إلى فوق وحدقت مايسي به بذهول.

وبغض النظر عن الهمسات التي كانت توجه إليه من الموجودين في المقهى، تقدم نحو مايسي وأمسك بمعصمها بقوة ليخرجها دون احترام من كرسيها ويجرها خلفه، عبر طاولات الزبائن المذهولين، إلى سيارته المتوقفة في الخارج.. حيث دفعها إلى المقعد الأمامي ثم أغلق الباب خلفها بشدة، وانطلقت السيارة بسرعة تاركة البلدة الصغيرة خلفها.

ابتلعت مايسي ريقها بصعوبة وتمتمت:

ـ.. سيارتي.

لكنه تجاهلها، فلاذت بالصمت.. لقد جاءت ساعة الحساب، ولا تحس بأنها قادرة على الدفاع عن نفسها.

بعد ميل أو يزيد، بدأت سرعة السيارة تخف، ثم حول جايستن السيارة عن الطريق إلى فسحة بين الأشجار.. رأحست مايسي بأن

أعصابها بدأت تتوتر ولأنها لن تستطيع مواجهته فتحت الباب وخرجت من السيارة تركض.. إلى أين.. لا فكرة لديها.. ولا تهتم لذلك..

وفجأة أحسّت بذراع قوية تلتف حول خصرها.. لينقلبا معاً فوق الأرض ويتدحرجا على العشب الأخضر.. وحين توقفا، قاومت لتتخلص من قبضته، لكنها وجدت نفسها مسمّرة على الأرض بجسده الطويل القاسي، والذي لم يكن ينوي تركها..

وبغضب همس قائلاً:

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة.. إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟

عرفت أنها يجب أن ترد، فجمعت آخر مدخراتها وقفزت تتمسك بالشجار:

ـ أنا لست حمقاء جايستن.. ولم أطلب منك أن تلحق بي.. كنت سعيدة حيث كنت!

ـ أراهن على ذلك مايسي! ولكن ألم أقل لك إنني أريد رؤيتك في المنزل.

ـ ولما؟ كي أوبّخ كطفلة صغيرة ألحقت الخزي والعار بنفسها؟ ليست غلطتي إذا كان شقيق فتاتك لا يستوعب رفضي له.. لقد قالت لي...

واختفى صوتها بعد أن هتف بها صوت داخلي تعلمته من أيام الطفولة «أن لا تخبري أخباراً» وعرفت أنها لا تزال تملك مبادىء الأخلاق، حتى ولو فقدها الآخرين!

مرر جايستن يده في شعره:

ـ أعرف.. أعرف.. قالت لك إن مارتا تريدك.. لا تقلقي لقد تحدثت معها حول هذه اللعبة الدنيئة. ولمعلوماتك آبمي ليست فتاتي، ولم تكن يوماً.

لهجته جعلت مايسي تحس بالأسف على الفتاة الأخرى.. وصورة لها كما شاهدتها آخر مرة، قفزت إلى ذهنها، تتفحص يدها، وتتخيّل

الخاتم في أصبعها.

ـ لكنها تتصرف وكأنها فتاتك.. دائماً تناديك «حبيبي»!

ـ وهذه كلمة لا بد أنك لاحظتِ أنني لا أشجعها! ما هذا؟ أراك تغارين منها..

وابتسم بكسل.. فأحست بصعوبة كبيرة في أن تضحك بخفة:

ـ من؟ أنا؟ ولما! فأنا لم أكن أتوقع منك أن تكون مهتماً بـ..

كانت ستقول «نكرة» لكنها غيرت رأيها وأكملت:

ـ.. واحدة مثلي باحثة عن الثروة.

ـ بحق السماء اهدأي مايسي! المشكلة معك انك بحاجة دائمة إلى شخص يحميك.. ويدافع عنك..

ـ وهل لديك هذا الشخص؟.. أم أن أي رجل يفي بالغرض؟

ـ لا.. ليس أي رجل.. لكن أجل.. هناك واحد في ذهني!

ـ وهل سيكون متفهماً ويرتبط بإنسانة قذرة مثلي تبحث عن الثروة..

بدأت تقاومه بشدة.. وأكملت:

ـ حسناً.. بالنسبة لي، أنت ومرشحك يمكن أن تذهبا إلى الجحيم! لا أحتاج إلى أي منكما لتقولا لي متى أتزوج وممن! فأنا قادرة على تقرير الأمرين معاً.

وجدت معصميها في قبضة فولاذية خلف ظهرها، وقال مهدداً:

ـ كما تريدين مايسي.. ولكن إذا استخدمت هذا الوصف المنتقص لقدرك مرة أخرى فسأضربك.

قالت بحدة:

ـ أنت من استخدم هذه الأوصاف جايستن.. أم أنك نسيت!..

توسل إليها بصوت أجش.

ـ مايسي.. بحق السماء.. ألن تتوقفي عن مهاجمتي ولو لمرة واحدة؟

هزت رأسها من جانب لآخر، وقد عضت على شفتها السفلى، ثم همست:

ـ لا أستطيع.

وهذا صحيح.. فهي تدرك تماماً أنها لو لانت قليلاً، فستضع نفسها في موقف ضعيف، مما يزيد من بؤسها وعذابها.

ـ في هذه الحالة، من الأفضل أن أستخدم أسلوباً آخر..

وأخفض رأسه ليضمها بين ذراعيه.

وكما في السابق، كان رد فعلها تلقائياً.. شيئاً لم تتمكن من منعه.. ارتفعت يداها تتمسكان بكتفيه، وتخلى جايسنن عن إمساكه بمعصميها كي يضمها إليه أكثر، ثم تسللت أصابعها إلى ظهره العريض، ومشاعرها عطشى إليه.

بعد لحظة كانت حرة، وتحرك جايسنن عنها ليجلس وذراعيه حول ركبتيه، ورأسه محني، ثم تأوه بخشونة:

ـ يا إلهي مايسي! أنت تمزقينني..! ألا تعلمين كم أريدك؟ كم أحبك؟

لفترة ما، لم تستطع الحراك، ولم تستطع التصديق.. لن تسمح لنفسها أن تصدق! ثم وبأسرع مما فكرت أنه ممكن، ركعت على ركبتيها إلى جانبه، تنظر إلى وجهه.. وتقول مقطوعة الأنفاس:

ـ جايسنن..! أتعنيني أنا؟

شدها مجدداً إلى ذراعيه:

ـ طبعاً أعنيك أنت! وبرأيك لمَ تركت الحفلة ولحقت بموظفة عنيدة صعبة المراس؟

كل الحب الذي كانت تحاول كبحه خلال الأسبوعين الماضيين اندفع الآن إلى السطح، وابتسمت بفتنة:

ـ لا أدري.. صحيح جايسنن.. لما؟

وبقوة شدها إليه كي يمنعها من الكلام، ثم كسر الصمت بلهجة

مثيرة:

ـ هل تتزوجينني مايسي؟

بكل مشاعرها أرادت أن تقول: نعم، لكنها رأت أنه من الأفضل لها أن تحافظ على أحاسيسها. وتمتمت، تمرر أصبعها على كشكش قميصه الحريري:

ـ لقد اعتقدت أنني انتهازية، وأكره أن تظن بي هذا مرة أخرى...

جايسنن أعرف أن المال يحفر ثقباً في جيبي.. وأعرف أن هذه عادة سيئة.. لكنني لا أستطيع منع نفسي من صرفه.

رمى رأسه إلى الوراء ضاحكاً:

ـ حبيبتي.. بطريقة ما، لا أظن أن جيبك سيكون واسعاً بما يكفي ليستنفذ مال عائلتي.. وأنا بكل تأكيد، لن أفكر أبداً بأنك انتهازية مرة أخرى.. فهل هذا يرضيك؟

اشتدت ذراعاه حولها وأكمل:

ـ من الأفضل أن يكون هذا قريباً.. فأنت مثيرة جداً حلوتي؛ ما رأيك؟

احمر وجه مايسي، وارتمت في حضنه قائلة:

ـ إذن غراهام وميتلاند سيتزوجان أخيراً.

ـ أكنت تشكين في هذا؟ منذ أول ليلة رأيتك فيها عرفت أن هناك شيئاً سيحدث بيننا... وعندما اختفيت تحت الماء أحسست كأن سنوات من عمري قد انتزعت.

ـ لكنك لم تقل شيئاً قبل الآن؟

ظهرت ضحكة كسولة:

ـ لأنني في كل مرة تحدثت فيها إليك، كنت تبنين جداراً بيننا.. والتشجيع الوحيد الذي تلقيته منك كان يوم عانقتك.

ابتسم لها متذكراً وأكمل:

ـ حتى هذه الليلة، قلت إنه ليس لي الحق في التدخل بقصة

شعرك.

رفعت عينيها إليه متسائلة:

- ولكن، كنت أعتقد أنك لا زلت تؤمن بأنني أبحث عن الثروة وكنت خائفة ممّا قد تظنه بي لو اكتشفت أنني أحبك.. ثم حين صرخت في وجهي بعد ضربك لهال، لم أستطع التحمل.. واضطررت للهرب كي أخلو بنفسي قليلاً.

ضحك وشدّ خصلة من شعرها:

- وتركتني لوحدي.. كدت أجن وأنا أبحث عنك.. فاتصلت بماك لأرى فيما إذا كنت في الفندق.. وكنت سأجعلك تندمين لفسخ العقد ما بيننا.. لقد ظننتك تنوين الرحيل..

سألت باهتمام:

- لماذا جعلتني أوقع العقد جايستن ولم تجعل جوليا توقع عقداً؟

- مذ رأيتك أحسست أن هناك شيئاً ما يجمعنا.. وظننت أن توقيع هكذا عقد قد يفيدني لبعض الوقت كي أعرف بالضبط ما هي مشاعري نحوك.. أترين، راقبتك تلك الليلة في الفندق، وظننتك أجمل من أن تكوني حقيقية. حتى حين رأيتك تضحكين مع جون وغاي.. وسمعت كلماتك حول التفتيش عن زوج ثري.. كنت مسروراً جداً لوجود سبب يدعوني لأن لا أثق بك.. ولهذا تركت المقابلة الأولى لمارتا.. لأنني كنت سأرفض توظيفك.. ولكن، بطريقة ما شعرت بأن مارتا ستعجب بك، ولهذا، أخرجت القرار من يدي.

- لكنك لم تبدُ مسروراً لأخذ القرار من يدك.. كنت غاضباً جداً يوم دخلت مكتبك.

- في تلك اللحظات كنت غاضباً وأقنعت نفسي أن هذه هي الحقيقة لا سيما وأنك استمريت في الموافقة معي، أيتها المزعجة!

لفت ذراعها حول عنقه، ومررت شفتيها على خده، متمتمة بصوت أجش:

- أرأيت.. حتى في ذلك الحين كنت أحاول إرضاءك.

تأوه قائلاً:

- والمشكلة أنك أرضيتني أكثر من اللازم.

ضمها إليه مجدداً، بشوق ولهفة جعلاها تلين بين يديه وقال:

- تعالي حبيبتي.. من الأفضل أن نعود إلى حفلة سوزان..

وهي ملتصقة به، نظرت إليه متوترة، وهما يسيران ببطء نحو السيارة.. وسألته:

- أتظن مارتا وسوزان منزعجتان مني لإبعادك عن الحفلة؟

ابتسم لها بلطف:

- لن تنزعجا حين تعرفا النتيجة، فمارتا كانت أكبر مدافعة عنك منذ وصولك، وسوزان ستسرّ حين أترك ما تدعو «عزوبيتي التي لا فائدة منها».. وأنا واثق أن العائلة كلها ستكون سعيدة لانضمامك إليها.

- وآيمي وهال؟

- بعدما تحدثت إليها أشك في أن تعود آيمي لزيارتنا أما هال فقد كدت أقتله حين رأيته يصفعك.

لامس خدها بنعومة:

- أتؤلمك الصفعة؟

هزت رأسها:

- لا.. لم تعد تؤلمني.. ولكن، لديّ أشياء مهمة أفكّر بها.

ابتسم جايستن متذكراً:

- لقد أعطيته شيئاً يفكر به.. لقد تركت على وجهه علامة لا تنسى.. أعتبر نفسي محظوظاً لأنني لم أتلق مثلها.

أكدت له بلهفة، قبل أن تتصاعد ضحكتها:

- أوه.. لا.. هذا لم يخطر ببالي أبداً.. فقد أحببت عناقك! لكن، أليس من الظلم أن تقترح زيارتي للمتحف مع هال..

www.liilas.com/vb3

ـ آه.. مايسي كنت قد عانقتك لأول مرة بعد ظهر ذلك اليوم، ووجدت نفسي أريد المزيد.. المزيد المزيد..! وفكرت أنك لو ذهبت مع هال، فسأكون محقاً في تقديري.. بأنك لا تهتمين بمن يكون، طالما معه المال. وأنا الآن مسرور جداً لأنني كنت مخطئاً!

وهو يفتح باب السيارة لها التفتت إليه وضمته بشوق هامسة:

ـ أحبك جايستن. ولا أدري ما كان سيحصل لي لو انتهت مدة العقد ورحلت.

ـ ما كنت تركتك ترحلين، وكما قال جيرارد: حين أقع أقع بقوة!

هكذا، وبقمر جديد برّاق ليرشدهما إلى الطريق، عاد ميتلاند أحمر الشعر آخر، وغراهام أسود الشعر، إلى ماراندو.. حيث بدأت القصة كلها منذ سنوات عدة.

فراشة المحبة

www.liilas.com